كلاسيكيات مُبسطة

شيرلوك هولمز

لغز العصابة الرقطاء



السير آرثر كونان دويل

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

الغلاف الأمامي


كلاسيكيات مُبسطة
شيرلوك هولمز
لغز العصابة الرقطاء
السير آرثر كونان دويل
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore
... أكثر من مجرد مكتبة

حقوق الطبع والنشر

شيرلوك هولمز

كلاسيكيات مبسطة للأطفال

الظلال، والأسرار، والكنز المسروق



مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore
...ليست مجرد مكتبة

للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarir.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

الطبعة الأولى 2024

شيرلوك هولمز

لغز العصابة الرقطاء



السير آرثر كونان دويل

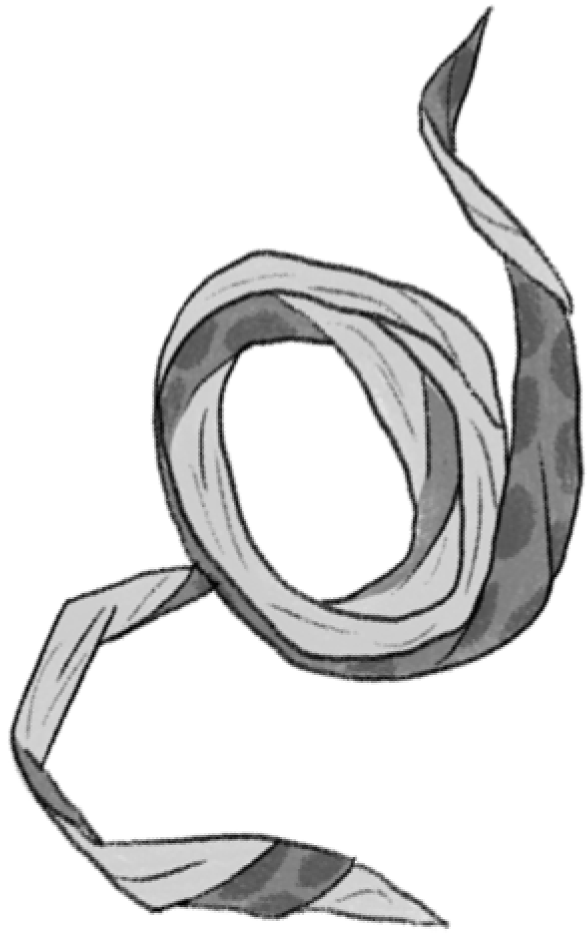
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... ليست مجرد مكتبة
not just a Bookstore...

الفصل الأول

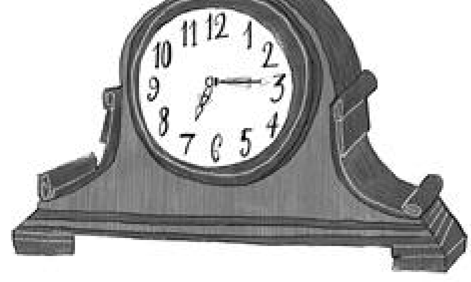


على مدى السنوات الثماني الماضية، صار من عاداتي تسجيل القضايا التي أعمل فيها مع صديقي شيرلوك هولمز، فأحيانًا ما تكون هذه القضايا مأساوية، وفي أحيان أخرى تكون كوميدية، لكن لم تكن أبدًا عادية. ونظرًا لأن هولمز يعمل بدافع حب مهنته، وليس من أجل المال، فقد رفض تولي أية قضية أقل من أن تكون استثنائية. كان منهجه في عمله بسيطًا جدًّا: فكلما كانت القضية غريبة، زادت سعــادته. وعندمـــا أُلقي نظرة خاطفة على مــدوناتي، لا أجــد قضية أغرب من قضية العصابة الرقطاء، والتـــي لــم أستطع الكتـابـة عنـهـا حتى يومنا هذا. ففي ذاك الوقـت، منعني تَعهُّدٌ بالسِّريـة لسيـدة شابة من إضافة القضية إلى الأرشيف. والآن فإن وفاتها الحزينة تحررني من هذا الوعد؛ فأخيرًا

يمكنني قول الحقيقة حول وفاة دكتور جريمسبي رويلوت، وتهدئة الكثير من الشائعات والتكهنات الجامحة.



كان ذلك أوائل أبريل من عام 1883، وكنا لا نزال في بداية صداقتنا، عندما أيقظني السيد شيرلوك هولمز وهو يقف مرتديًا ملابسه بالكامل بجانب سريري. لقد كانت عادته الاستيقاظ متأخرًا، وهذا ما جعلني ألقي بطرف عيني، بشيء من الدهشة والانزعاج، على الساعة التي فوق الرف، والتي كانت تُشير إلى السابعة وخمس عشرة دقيقة. أنا عادةً شخص ملتزم بعاداته، وكان هذا أبكر من وقتي المعتاد للاستيقاظ.



قال هولمز بابتسامة حزينة: «أعتذر عن إزعاجــك يــا واطسون، لقد استيقظنا جميعًا مبكرًا؛ استيقظت السيدة هدسون أولًا، ثم أنا».

رددت عليه: «ما الأمر يــا هولمز؟ هل هناك حريق؟».

أجاب: «لا، هناك موكلة؛ فقد وصلت شابة خــائفة للغاية، وتصر علــى رؤيتي. هــي الآن في غرفة المعيشة. إذا كانت مستيقظة في مثل هذه الساعة المبكرة، فلا بد أن الأمر عاجل. أعرف كيف تحب متابعة القضايا من البداية؛ لذا اعتقدت أنني ينبغي أن أسألك ما إذا كنت تريد البقاء في سريرك أو القدوم لسماع قصتها».

قلت: «يا زميلي العزيز، بالطبع لن أفوت الأمر». حينها صرت يقظًا تمامًا ومتحمسًا لفكرة حل لغز جديد؛ فلم تكن لديَّ متعة أكبر من مساعدة هولمز في تحقيقاته أثناء بحثه عن الأدلة، والعثور على إجابات منطقية.

بعد لحظات قليلة كنت قد ارتديت ملابسي، ونزلنا إلى غرفة المعيشة في الطابق السفلي.

الفصل الثاني



كانت السيدة ترتدي ثيابًا لونها أسود، وتضع على وجهها وشاحًا ثقيلًا، ما جعل من الصعب رؤيتها بوضوح. نهضت السيدة أثناء دخولنا.

قال هولمز بمرح: «صباح الخير يا سيدتي؛ اسمي شيرلــوك هولـــــمز، وهذا صديقي وزميلي دكتور واطسون. يُمكنك التحدث بحرية تامة أمامه».

ثم نظر إلى النار، وقال، معترفًا على غير عادته بجهد سيدة المنزل: «حسنًا! أرى أن السيدة هدسون شعرت بهذا البرد فأشعلت المدفأة. أرجو أن تتفضلي وتجلسي بجانبها، فأنتِ ترتجفين. لا تزال صباحات شهر أبريل هذه باردة، سأطلب لكِ فنجانًا من القهوة الساخنة».

ثم استدعى السيدة هدسون، فأتت وطلب منها إعداد القهوة، بينــمــا جلست موكلتنا علـــى مقعدها، ثم رفعت وشاحها، وقالت: «ليس البرد هو ما يجعلني أرتجف، لكن الرعب الذي أعيشه».



لفت ما قالته انتباهي، فنظرت إليها عن كثب. كان وجهها شاحبًا، وعيناها مضطربتين بنظـــــرة خائفة مؤرقة. وعلى الرغم من أنها كانت بالكاد في الثلاثين من عمرها، فإن شعرها يتخلله اللون الرمادي بالفعل، فقد بدت مرهقة للغاية.

كان هولمز بالطبع قد لاحظ كل هذه الحقائق أيضًا، وربما استنتج منها أكثر مما استنتجت أنا؛ فأنا أنظر بعيني طبيب، أمـــــا هو فينظر بعيني محقق.

قال بهـــــدوء: «لا داعي للخوف؛ سنضع الأمور في نصابها قريبًا. لقد أتيتِ بالقطار هذا الصباح؟».

أومــأت برأســـــها وهـــي متفاجئة.



تابع هولمز، إما لأنه لم يلاحظ رد فعلها أو أنه اختار تجاهله.

«معكِ تذكرة العودة مطوية في قفازك الأيسر، فلا شك أنكِ تحركتِ مبكرًا وقمتِ برحلة طويلة على طول الطرق الوعرة المؤدية إلى المحطة في عربة كلاب».

عربة الكلاب

هــي عربــة خشــبية صغيــرة يجرهــا حصــان، وتســتخدم فــي البلــدان الريفيــة. يحتــوي بعضهــا علــى مقعــد للســائق وراكــب واحــد، والبعــض الآخــر بــه مقاعــد متتاليــة. تميــل تلــك العربــات بحيــث تلقي الوحــل على الجانــب الأيســر. وفي الأصــل، كان المقعد الخلفي مقلوبًا لأســفل لإفســاح المجــال للــكلاب، ومــن هنا جــاءت التســمية.

حدقت السيدة أولًا في هولمز، ثم في يدها التي ترتدي فيها القفاز؛ حيث يمكنني الآن رؤية طرف التذكرة خارجًا من القفاز. لقد لاحظتُ أيضًا تعبيراتها القلقة، فهو أمر ليس غريبًا على الأشخاص الذين ليسوا على دراية بأساليب هولمز في الاستنتاج.

ابتسم قائلًا: «لا يوجـــــد لغز يا عزيزتي، فكُم الذراع اليسرى لسترتك ملطخ بالوحل الرطب، وعربة الكلاب فقط هي التي تلقي الوحل هكذا، وذلك عندما تجلسين على الجانب الأيسر من السائق».

خفت ملامح قلقها بعض الشيء، وقالت: «أنت محق يا سيد هولمز، فلقد انطلقت في الساعة السادسة صباح هذا اليوم من منزلي في مقاطعة سري».

وفجأة، غلبت عليها موجة من القلق، وبدا وجهها يتحول للانزعاج مرة أخرى، ثم قالت: «يا سيدي، سأُجن إذا استمر هذا، لقد دلتني عليك صديقة لي قمت أنت بمساعدتها، اسمها السيدة فارينتوش، وهي التي أعطتني عنوانك»، ثم أضافت، ردًّا على نظرة تساؤل هولمز: «أرجو منك مساعدتي أيضًا!».

أخـذ هولـمز دفـتر قضـاياه من رف الكتب، وبذهـن شارد ظـل يتصـفحه للـحظة. ثـم قـال بـتأمل: «فارينتوش»، وتابع: «آه، نعـم، تاج الزمرد، فهذه القضية كانت قبل معرفتي بك يا واطسون».



استسلمت تعبيرات موكلتنا الحائرة للانزعاج، بسبب شعورها بعدم تركيز هولمز الواضح. واستطردت: «لا يمكنني أن أدفع لك في الحال، لكنني سأتزوج في غضون أسابيع قليلة، وسيكون لديَّ دخل خاص بي».

قال هولمز: «وظيفتي مكافأة بحد ذاتها، ويمكنكِ دفع أية نفقات عندما تكونين قادرة على ذلك. والآن يُرجى تزويدنا بأكبر قدر ممكن من التفاصيل حول قضيتك، فمن الضــروري أن نفهم الأمر الماثل أمامنا. لماذا أنتِ خائفة؟».

تنفست موكلتنا بعمق، وهي تحاول تهدئة نفسها، قبل أن تبدأ قصتها، ثم بدأت تقول: «من الصعب أن أقول مــــا أخافه، لأن شكوكي غامضة. قد يقول البعض إنني مجرد امرأة

متوترة، لكن يا سيدي، أعلم أنه يمكنك النظر بشكل أعمق ورؤية الشر في قلوب الأشخاص. يُمكنك أن تنصحني بكيفية التعامل مع هذه المخاطر».

رد هولمز: «أنا أستمــع إليكِ يا سيدتي».

اقتربت بمقعدي أكثــر حتــى لا تفوتني أية كلمة.

قالت: «اسمي هيلين ستونر، وأعيش مع زوج والدتي، دكتور جرايمسبي رويلوت. إنه آخر فرد من عائلته التي كانت ثرية يومًا ما، وكانت تمتلك منزلًا يسمى ستوك موران لعــدة مــئات مــن السنين. لكن تبددت ثروات العائلة منذ فترة طويلة، ولم يتبق سوى منزل متداعٍ، وعدد قـــليل من الأفدنة ورهن للسداد. قامت أجــيال مــن العائلة بتبديد أموالهم، وأدرك زوج والدتي أنه سيحتاج ليؤمن لنفسه مهنة».



ثم تابعث: «فحصل على شهادة في الطب، وسافر إلى الهند؛ حيث أسس عيادة كبيرة وناجحة، ثم تزوج والدتي عندما كان عمري أنا وأختي التوأم عامين. حقق نجاحًا كبيرًا لبعض الوقت في مدينة كلكتا، لكن انتهى كل هذا عندما قتل خادمه في لحظة غضب، بعد عدد من عمليات السطو في منزلنا. فذهب إلى السجن لفترة طويلة، ثم عاد بعد ذلك إلى إنجلترا حزينًا وخائب الرجاء».

كان هولمز يومئ برأسه من وقت لآخر، وظل وجهه دون أي تعبير. ففكرت، كما كنت أفعل كثيرًا، كيف يمكنه عدم إظهار أية عاطفة أو رد فعل، فلم أكن أعرف عنه سوى القليل في تلك الأيام الأولى لصداقتنا.

الفصل الثالث

أكملت الآنسة ستونر: «كانت والدتي تتمتع بثروة جيدة، فكتبت ثروتها لزوجها بشرط أن يدفع لي لأختي جوليا، لكل واحدة منا الثلث عندما نتزوج، ويمكنه أخذ الثلث الأخير لنفسه. بعد ذلك بوقت قصير، قُتلت والدتي في حادث قطار، وقرر دكتور رويلوت التخلي عن محاولاته لإنشاء عيادة في لندن. واصطحبنا معه للعيش في منزل ستوك موران، وكنا سعداء لبعض الوقت؛ فقد كان المال الذي تركته والدتنا كافيًا لتغطية أية نفقات، كما كنت أنا وجوليا معًا».

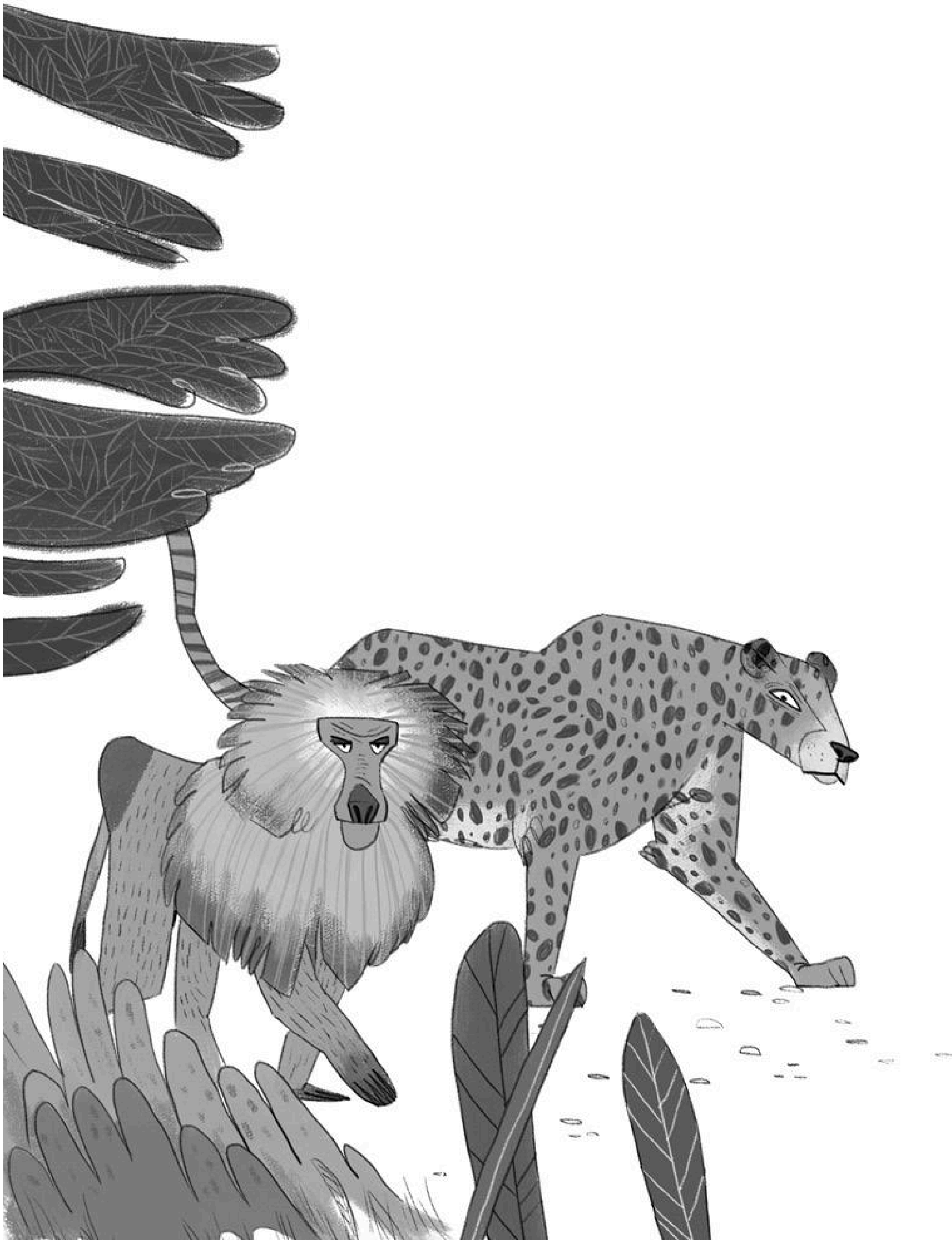
ثم تابعت: «في هذا الوقت تقريبًا، بدأ دكتور رويلوت التصرف بشكل غريب: كان يحبس نفسه في المنزل ولا يرى أحدًا، ويتشاجر مع أي شخص يقترب من المنزل، وكان مزاجه عنيفًا لدرجة أن الجميع في القرية بدأوا يخافونه. إنه رجل قوي حقًّا؛ لقد انتهى به الأمر بالمثول مرتين أمام المحاكم بسبب العراك. وفي الأسبوع الماضي، ألقى حَدَّاد القرية في النهر، وفقط من خلال دفع كل الأموال التي استطعت أن أجمعها للرجل، تمكنا من تجنب فضيحة أخرى».

«أصدقـــاؤه الوحيدون هـــــم بعض المشردين الذين يســــــمح لهم بالتخييم في حديقة المنزل، والحيوانات...».



سألتـُـها: «حـــيوانات؟». فاستدارت تجاهي، ثم قالت: «نعم يا دكتور واطسون؛ لقـــد أحضر بعض الحيوانات البرية من الهند، فهناك فهـــد، وقـــرد البابون، مسمـــوح لهـــما بالتجول فـــي أرض المنزل بحُرية».

في تلك اللحظة، وصلت السيدة هدســـــون ومعها القهوة، وأظن أنها سمعت الجملة الأخيرة لأنها رفعت حاجبيها بتعجب لكنها لم تقل شيئًا.



بمجـــــرد مغادرة السيدة هدسون وصبِّ القهوة، سألتُها: «أفترض أن حالة زوج والدتكِ تلك صعَّبت عليكم استبقاء العاملين بالمنزل؟».

أجابت: «كنت أقوم أنا وأختي بكل العمل، فلم يرض أحد بالبقاء بمجرد أن يرى سلوكه. لم تكن لدينا أية متعة في حياتنا باستثناء زيارة عَرضية لخالتنا في بلدة هارو.. ثم ماتت جوليا. كانت تبلغ من العمر ثلاثين عامًا فقط، لكن شعرها بدأ بالفعل التحول إلى اللون الأبيض، تمامًا كما يحدث معي الآن».



كانت عينا هولمز مغلقتين، لكن عندما سمع ذلك فتحهما، قال: «أختك ماتت؟».

ردت قائلة: «لقد ماتت منذ عامين، وأود التحدث إليك عنها، ففي أثناء زيارة خالتنا، قابلت جوليا رائدًا شابًّا في مشاة البحرية، وتمت خطبتهما، ولم يكن لزوج والدتنا أي اعتراض على هذا، وتم التخطيط لكل شيء. لكنها ماتت قبل أسبوعين من يوم الزفاف بشكل مروِّع، ومنذ ذلك اليوم لم يعد لي أحد سوى زوج والدتي».

قال هولمز: «من فضلك، هلا تخبرينني ببعض التفاصيل».

ردت قائلة: «حسنًا هذا سهل عليَّ؛ فكل تفاصيل تلك الليلة الرهيبة متأججة في ذاكرتي». توقفت الآنسة ستونر، ولملمت فستانها للحظة قبل أن تعود إلى روايتها.

أكملتْ: «لقد رسمتُ خريطة للمنزل لمساعدتك يا سيد هولمز»، وأخرجت قطعة من الورق المطوي من حقيبتها، ووضعتها على طاولة صغيرة أمامنا قبل أن تحتسي قهوتها.

قالت وهي تشير إلى الخريطة: «المنزل قديم جدًّا، وفي حالة سيئة، لدرجة أننا نسكن جناحًا واحدًا فقط، وهناك ثلاث غرف نوم في الطابق الأرضي وغرفة الجلوس خلفها. ها هي غرفة دكتور رويلوت، وبجوارها غرفة أختي، وها هي غرفتي، الثالثة في الصف».

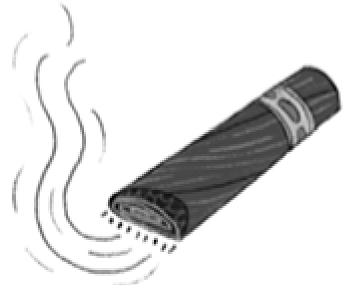
نظرت أنا وهولمز على الخريطة، لقد كانت خريطة بسيطة جدًّا.

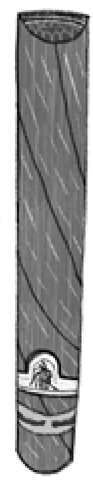
تابعت تقول: «الوصول إلى الغرف عن طريق ممر، ولكن لا توجد ممرات بين الغرف وبعضها، والنوافذ كلها مطلة على الحديقة. هل ترى؟».

قال هولمز: «بالطبع».



بدأت تقـــول: «فـــي تـــلك الليلة المشئومة، ذهب دكتور رويلوت إلى غرفته مبكرًا، على الرغم من أننا نعلم أنه لم يذهب للنوم مباشرة؛ لأن أختي كانت تشم رائحة السيجار الهندي القوي الذي يحب أن يدخنه. دخلت أختي غرفتي، وتحدثنا لبعض الوقت عن زفافها، وقد أثلج صدري أن أرى كم كانت متحمسة. وفي تمام الساعة الحادية عشرة، نهضت لتغادر، ولكن عند الباب استدارت وقالت: «هيلين، هـــل ســـمعت يومًا أحدهم يصفر في منتصف الليل؟». لقـــد قـــالت ذلك بجدية، لدرجة أن الأمر فاجأني واستغرقت بعض الوقت قبل أن أجيبها».





«قلت لها إنني لم أسمع شيئًا، فأخبرتني أنها تسمع صفيرًا منخفضًا وواضحًا في حوالي الساعة الثالثة صباحًا في الليالي القليلة الماضية. لم تستطع معرفة مصدر الصوت، واعتقدنا أنه ربما كان أحد المتشردين الذين يخيمون في الحديقة. لكن فيما بعد، بدأت أسمع هذا الصفير أيضًا، على الرغم من أن نومي أثقل من نوم أختي، ولم أظن أنه أمر مهم للغاية؛ وحينها ذهبت أختي إلى غرفتها فأغلقت بابي، وسمعتها تفعل الشيء نفسه أيضًا».

فسألها هولــمز: «هل اعتدتما أن تغلقا الباب على نفسيكما في الليل؟».

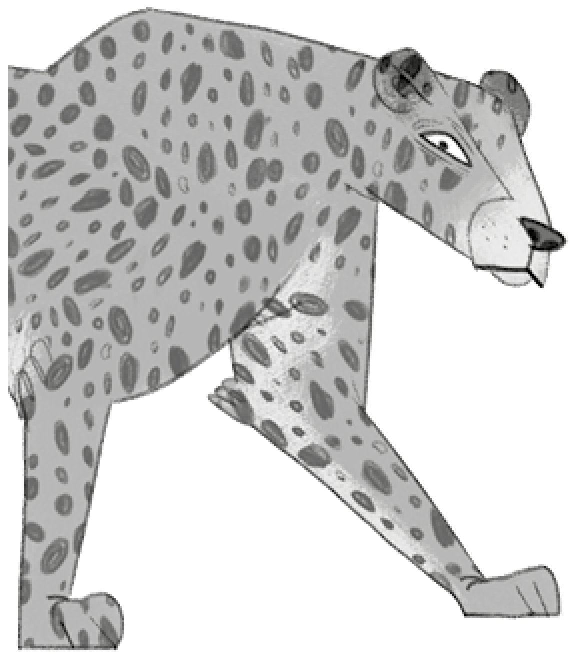
استطعت أن أرى أن هذا اللغز قد استحوذ على خياله، وكان يستمع إلى كل كلمة قالتها. فبالنسبة إلى شخص غريب، قد لا يبدو «هولمز» شخصًا منتبهًا للحديث، لكنني كنت أعرف أنه منتبه للغاية.

أجابت: «دائمًا».

فسألها هولمز: «لماذا؟».

أجابت: «بسبب الفهد وقرد البابون، فلم نكن نشعر بالأمان إلا إذا كانت الأبواب مغلقة، وما زلت أشعر بذلك».

أومأ هــولــمز برأسه، وحاولت أن أتخيل العيش في مكان ما به حيوانـــات برية تتجــول مــــن حولي.





تابعت الآنسة ستونر: «لم أستطع النـــوم في تلك الليلة، كان لديَّ شعور بأن شيئًا فظيعًا سيحدث. كتوأمين، غالبًا ما كنا نعرف أنا وجوليا ما تفكر فيه الأخرى. غامت السماء في الخارج، وكان المطر يتقاطر ويتناثر على النوافذ. فجأة سمعت صرخة مرعبة، وعرفت أنها صوت أختي. قفزت من السرير، وألقيت شـــالًا حول كتفي، واندفعت إلى الممر».

ثم توقفتْ عن الحديث، وعكست عيناها الرعب الذي شعرت به حينها.

أكملت تقول: «سمعت صافرة، وبعد ذلك بوقت قصير، صوت طنين معدنيًّا. كان باب أختي ينفتح ببطء، وفي ضوء مصباح الممر الخافت، رأيتها تخرج من غرفتها، ووجهها شاحب من الرعب. كانت يداها تبحثان عن شيء لتستند إليه، فركضت إلى الأمام وأمسكت بها قبل أن تسقط، لكنني لم أستطع رفعها. وقعتْ على الأرض، ثم تلوَّت كما لو كانت تعاني ألمًا

شديدًا. انحنيت لأرى ما إذا كانت واعية، فحدقت في وجهي وصرخت بصوت لم أسمعه من قبل، ولن أنسى هذا الصوت مطـلقًا».

الفصل الرابع

ارتجفت السيدة التي كانت تجلس أمامنا من الرعب وهي تعيد سرد قصتها المروعة، وتساءلتُ كيف مر عليها العامان الماضيان. لا شك أنها ظلت تتذكر الحادث مرات عديدة، وشعرتُ بالتعاطف الشديد معها.

قال لها هولمز محفزًا إياها على الحديث: «ماذا قالت أختك؟»، وانحنيت أنا للأمام كثيرًا حتى أفهم كلماتها، ولكي أربت على يديها لطمأنتها.

فتابعت قائلة: «لقد قالت لي: 'يا إلهي يا هيلين! إنها العصابة؛ العصابة الرقطاء!، ثم أشارت بجنون في اتجاه غرفة الطبيب فور خروجه، وقد كان مرتديًا رداءه. وعندما رأى جوليا، حاول أن يعطيها بعض الماء، لكنها لم تستعد وعيها مطلقًا، وكانت تلك نهاية أختي الحبيبة».



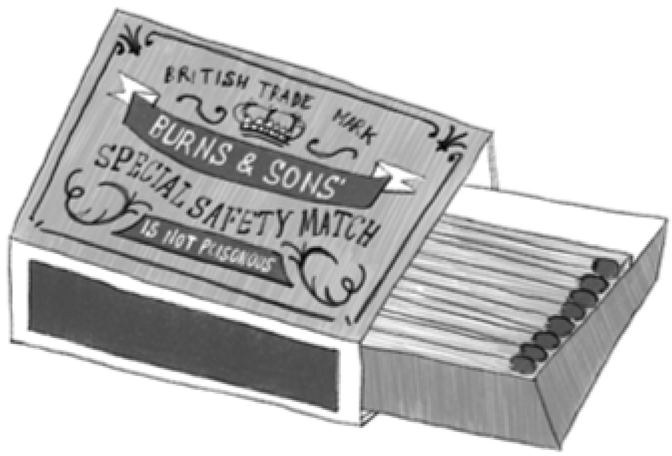
سأل هولمز: «هل أنتِ متأكدة من الصافرة والصوت المعدني؟».

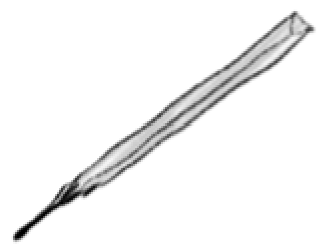
أجابت: «لقد أقسمت عند التحقيق أنني سمعتها، لكن الطقس كان مثل طقس اليوم... من المحتمل أن أكون مخطئة».

سألها هولمز: «هل كانت أختك ترتدي ملابس الخروج؟».

ردت: «كلا يا سيدي، كانت بثوب النوم الخاص بها، وكانت تحمل عود ثقاب في يد، وعلبة أعواد الثقاب في اليد الأخرى».

عرفتُ ما يعني ذلك، كانت قد أشعلت عود ثقاب لترى ما كان يحدث في الغرفة حين أطلقت صرختها.





سأل هولمز: «مـــاذا قال الطبيب الشرعي عن ســبب الوفاة؟».

أجابت: «لقد حقق في الأمر بدقة شديدة، لكنه لم يجد أي سبب. كما أجريت أنا تحقيقاتي الخاصة؛ ووجدت أن الباب كان مغلقًا من الداخل وكذلك النوافذ. كان للنوافذ مصاريع من الخارج، معززة بقضبان حديدية، وتم فحص الجدران والأرضيات أيضًا، ووجدوا أنها صلبة. توجد مدخنة في الغرفة، لكنها موصدة دائمًا. لقد كانت بمفردها في الغرفة، وبدت بصحة جيدة».

سأل هولـمز: «في اعتقادك، كيف ماتت؟».



قالت: «أعتقد أنها ماتت من الخوف، على الرغم من أنني لا أستطيع أن أتخيل ما الذي يمكن أن يخيفها حتى تموت هكذا».

سأل هولمز: «في اعتقادكِ ماذا كانت تقصد بـ'العصابة الرقطاء'؟».

أخذت الآنسة ستونر تفكر، ثم قالت: «في بعض الأحيان أعتقد أن عقلها المرعوب كان يمارس عليها حيله، وفي أحيان أخرى أتساءل عما إذا كانت تشير إلى مجموعة المشردين الذين يعيشون في الحديقة؛ فهم أحيانًا يرتدون أوشحة مرقطة على رؤوسهم».

قال هولمز: «وما الذي جعلكِ تأتين إليَّ الآن، بعد عامين من وفاتها؟».

ردت قائلة: «أنا أيضًا قابلت رجلًا أرغب في الزواج به. حفل زفافنا في غضون أسابيع قليلة». لقد احمرت وجنتاها خجلًا عندما تحدثت عن زواجها، واعتقدتُ أنه من المؤسف أن تكون خطبتها وقتًا للقلق والخوف بدلًا من الفرح.

وتابعت: «قبل يومين، بدأت بعض أعمال البناء في الجناح الغربي للمنزل؛ حيث تضرر الجدار الخارجي لغرفتي، لذا اضطررت إلى الانتقال إلى غرفة أختي بناءً على اقتراح زوج والدتي. وكنت مترددة للغاية في البداية، لكن لا توجد حقًّا غرفة أخرى صالحة للسكن، حتى إنني اضطررت للنوم في السرير نفسه الذي ماتت فيه أختي. الليلة الماضية كنت مستلقية على السرير، لكنني كنت مستيقظة أفكر فيها عندما سمعت صافرة هادئة مرة أخرى. فنهضــت وأضـــأت المـصباح لكنني لم أر شيئًا. كنت خائفة للغاية من الذهاب إلى الفراش مرة أخرى؛ لذا بقيت مستيقظة حتى الفجر، ثم غادرت المنزل. ركبت إحدى عربات الكلاب من النزل المقابل، وتوجهت إلى المحطة؛ حيث ركبت قطارًا متجهًا إلى لندن، وها أنا ذي».



سأل هولمــز: «هــل أخبرتِنا بكل شيء؟».

أومأت بالموافقة.

قال هولمز: «كلا يا آنسة ستونر، أنتِ لم تخبرينا بكل شيء»، ثم أزاح الدانتيل الأسود من سوارها المكشكش، كاشفًا عن خمس كدمات داكنة على معصمها الأيمن، وقال: «هل زوج والدتك يتعامل معكِ بقسوة».

احمر وجهها خجلًا، وغطت الكدمات التي لم يمكن أن يحدثها سوى ضغط أصابع صلبة على معصمها، ثم قالت: «في بعض الأحيان، أعتقد أنه لا يعرف مدى قوته».

ظل هولمز لفترة طويلة محدقًا في النيران المشتعلة، وكنت أعرف أنه من الأفضل عدم مقاطعة أفكاره. لم تكن الآنسة ستونر قادرة على الشعور بالراحة، وأخذت تعبث بالسوار الدانتيل، وكانت تنظر إليه من وقت لآخر.

في النهاية، التفت لينظر إليها، وقال: «من ناحية، ليس هناك وقت لنضيعه، ومع ذلك هناك الكثير من الأسئلة التي لم تتم الإجابة عنها. إذا أتينا معكِ إلى ستوك موران بعد ظهر اليوم، فهل يمكننا رؤية الغرف دون علم زوج والدتك؟».

أومأت الآنسة ستونر بالموافقة، قائلة: «لقد كان يخطط للمجيء إلى المدينة اليوم في بعض الأعمال المهمة. أتوقع أنه سيكون خارج المنزل طوال اليوم، ونحن لدينا الآن مدبرة منزل، لكن يمكنني أن أطلب منها القيام ببعض المهام حتى لا تزعجنا».

قال هولمز: «ممتاز»، ثم استدار إليَّ قائلًا: «أنت لن تعارض المجيء معنا في هذه الرحلة يا واطسون، أليس كذلك؟».

قلت: «بالتأكيد لا». في الحقيقة كنت متحمسًا مثله تمامًا، وكان هذا من شأنه أن يصنع قصة مثيرة في أثناء كتابتها، كما كنت أفعل دائمًا بعد مغامراتنا. كان هولمز يقول إنني

رومانسي للغاية، وأميل إلى تجميل الحقائق، لكنني أعتقد أنه كان سعيدًا برؤية قضاياه تُدَوَّن على الورق.

قالت الآنسة ستونر: «لديَّ بعض الأشياء لأفعلها في المدينة، وسأعود إلى المنزل في قــطار الساعة الثانية عشرة».

ابتسم لها هولمز ابتسامة صغيرة، وقال: «أنا أيضًا لديَّ بعض الأعمال التي عليَّ إنجازها بنفسي؛ لذا سنلحق بكِ في وقت مبكر بعد ظهر هذا اليوم. والآن، هل تريدين الانضمام إلينا لتناول الإفطار؟».

ردت قائلة: «أشكرك على عرضك اللطيف، لكن يجب أن أذهب، سأنتظر زيارتكما بعد ظهر اليوم».

بدت أكثر اتزانًا وراحة الآن بعد أن أخبرتنا بقصتها، كما لو أن حملًا قد أزاحته عن كتفيها. غطت وجهها بوشاحها مرة أخرى، وشقت طريقها نحو الباب.

سألني هولمز بعد مغادرتها: «ما رأيك في كل هذا يا واطسون؟».



قلت: «يبدو أنه مخطط إجرامي وشرير للغايــة. إذا كـــان صـــحـــيـحًا أن الجدران والأرضية سليمــة، وكانت النوافذ والأبواب والمــدخــنــة مغلقة، فلا شك أن السيدة الشابة كانت بمفردها في الغرفة».

قال هولمز: «ولكن ماذا عن الصفارات والكلمات الغريبة التي قالتها أختها قبل موتها؟».

أجبته: «ليست لديّ أية فكرة».

رد قائلًا: «النقاط الرئيسية في هذه القضية، كما أراها، تتمثل في هذه الأمور؛ هناك صفارات ليلًا، وجماعة من المشردين يخيمون في الحديقة يعتبرهم الطبيب أصدقاءه. يبدو أنه يريد منع الفتاتين من الزواج؛ لأنه سيتعين عليه دفع ثلث الدخل الذي يتمتع هو به في الوقت الحالي، ثم هناك العصابة المرقطة والصوت المعدني، والقضبان التي على المصاريع، ربما...».

قلـــت: «ولـــكن مـــــــاذا يفعل المشردون؟».

أجاب: «لا يمكنني الإجابة، لهذا السبب أريد أن أذهب إلى منزل ستوك موران اليوم».

فجأة، انفتح الباب وظهر رجل ضخم يسد مدخل الباب؛ كان طويل القامة لدرجة أن قبعته مسحت تراب الجزء العلوي من الباب. كان زائرنا يرتدي قبعة ومعطفًا طويلًا وجراميق طويلة، وفي يده يحمل سوط حصان.

كان لديه وجه كبير مليء بالكثير من التجاعيد، واسمرار وجهه يشير إلى أنه عاش لسنوات عديدة في بلد حار. كانت عيناه غائرتين وصفراوَي اللون، فوق أنف طويل رفيع جعله يبدو كأنه طائر جارح شرس.

معطف طويل وجراميق طويلة

هــو نمــط تقليــدي لمعطــف بخصــر ملائــم يصــل طوله إلــى أعلــى الركبة مباشــرة. هو من الطــراز القديم بعض الشــيء، كما أن المعاطف الرســمية منهــا لهــا ياقــات عاليــة، ويرتديهــا الســادة من كبــار الســن والمحافظين إلــى حــد ما. أمــا الجراميــق الجلديــة الطويلــة التــي تُوضع علــى الكاحلين أو أســفل الســاقين فهي علامــة على ملاك الأراضــي الزراعية، وهي ليســت ملابــس المدينــة، وإنمــا مصممــة لحمايــة ســراويل وأرجل الفرســان عند ركــوب الخيل.

سأل الرجل: «مَن منكما هولمز؟».

قال هولمز: «هذا أنا، لكنك لم تخبرني باسمك».

فقال: «أنا دكتور جريمسبي رويلوت من منزل ستوك موران».

رد هولــمز: «بــالطبع! فــلتتفضل بالـــجلــوس إذن».

قال: «لن أجلس! ابنة زوجتي كانت هنا؛ لقد تبعتها إلى هنا. بماذا أخبرتك؟».

قال هولمز: «الجو بارد قليلًا بالنسبة لهذا الوقت من العام».

صاح الرجل العجوز قائلًا: «ماذا كانت تقول لك؟ لا يمكنك أن تثنيني عما قدمتُ لأجله»، ثم تقدم خطوة إلى الأمام، وهز سوطه، وقال: «لقد سمعتُ عنك من قبل، أنت هولمز، الشخص الذي يتدخل فيما لا يعنيه».

ابتسم صديقي.

فتابع الرجل يقول: «هولمز المتطفل المشغول، هولـمـــز دمية سكوتلاند يارد!».

ضحك هولمز من قلبه، وقال: «أنت شخص مسلٍّ للغاية، من فضلك، أغلق الباب وأنت تغادر؛ فهناك تيار هواء بارد يتسلل إلى الغرفة».

كنت أخشى أن ينفجر زائرنا غضبًا، وخشيت على سلامة هولمز، ورغم ذلك بدا هولمز مستمتعًا بوقته.



رد الرجل: «سأذهب عندما أنهي كلامي، فمن الخطر عليك أن تتورط مع رجل مثلي، لذلك من الأفضل لك أن تبتعد عن شئوني!».

خطا رويلوت إلى الأمام، وأخذ قضيب النار الحديدي من جانب المدفأة، ثم قام بثنيه على شكل قوس، وألقاه مرة أخرى عنـــد المدفأة، ثـــم خرج من الغرفة.

قـــــــال هـــولمز ضاحكًا: «يا له من شخص ودود، فلو بقي لكان بإمكاني أن أوضح له أنه على الرغم من صغر حجمي فإنني شخص قوي»، ثم التقط القضيب الحديدي، وبقليل من الجهد وبضغطة سريعة أعاده كما كان.

ابتسمت لنجاحه، لكنني كنت آمل ألا تواجه الآنسة ستونر مشكلة؛ لأنها أتت إلى هنا.

تذمَّر هولمز قائلًا: «تخيل أن يخلط بيني وبين الشرطة الرسمية!»، ثم التفت إليَّ، وتابع: «واطسون، سنطلب وجبة الإفطار، وبعد ذلك سأخرج وآمل في الحصول على مزيد من المعلومات لمساعدتنا في هذه القضية».

الفصل الخامس



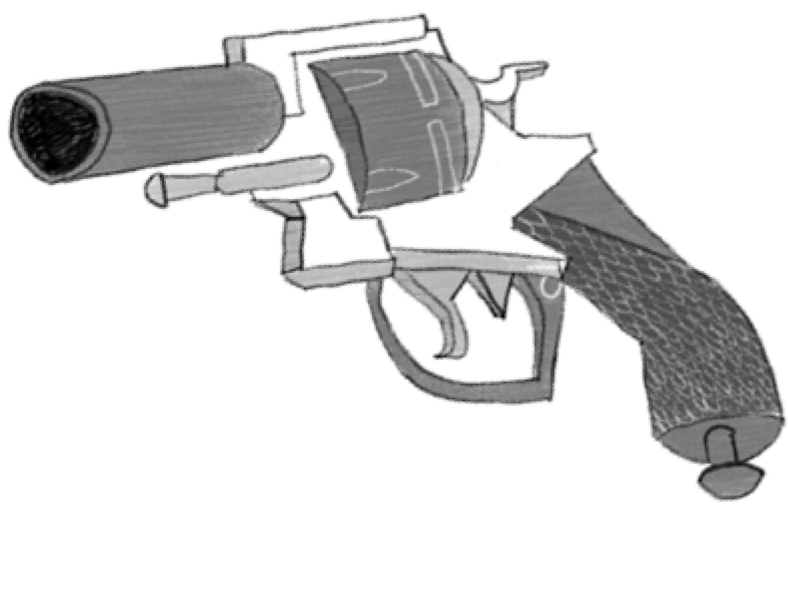
كنت مشغولًا في الصباح في غرفتي بكتابة تقارير عن مرضاي، وكانت الساعة الواحدة تقريبًا عندما سمعت عودة هولمز. تركتُ عملي ونزلت إلى غرفة الجلوس. كان يمسك في يده ورقة زرقاء مليئة بملاحظات مكتوبة بخط يده المتعجل.

قال لي: «لقد رأيتُ الوصية التي تركتها والدة الآنسة ستونر. لقد انخفض الدخل وأصبح الآن 750 جنيهًا إسترلينيًّا سنويًّا فقط. عندما تتزوج كلٌّ من البنتين، فسوف ترث كلٌّ منهما

نصيب الثلث، أي 250 جنيهًا إسترلينيًا سنويًا، تاركتين المبلغ نفسه لدكتور رويلوت، وهذا أقل بكثير مما يتمتع به في الوقت الحاضر؛ لذا أظن أن لديه دافعًا قويًا للغاية لعدم رغبته في زواجهما، أليس كذلك يا واطسون؟».

أومأت بالموافقة، وأنا أقلب هذه المعلومات الجديدة في ذهني، فلم يكن موت جوليا يعني فقط أنها لن تتزوج مطلقًا، بل يعني أيضًا أن رويلوت سيُزاح عن كاهله عبء إعالة شخص.

قال هولمز: «هل أنت جاهز يا واطسون؟ بما أن دكتور رويلوت يعرف الآن أن لدينا اهتمامًا بشئونه، يجب أن نسرع. يجب علينا استدعاء سيارة أجرة، والقيادة إلى محطة واترلو. سأكون ممتنًا إذا أحضرت مسدسك في جيبك، فحتى الرجل الذي يستطيع أن يثني القضبان الفولاذية إلى عقد لن يجادل في ذلك».



اســـتـــقلـــلنا قـــطـــارًا إلى بلدة ليذرهيد، ثم استأجرنا عربة لرحلة تبعد خمسة أميال. كان يومًا جميلًا به نسائم من الربيع المقبل؛ حيث كانت الشمس مشرقة ودافئة، وهناك بعض السحب الصافية المنجرفة في سماء المنطقة. كانت الأشجـــار والسياج المليء بالشجيرات قد بدأت للتو إظهار براعم خضراء، وبدا لي أن هناك تناقضًا شديدًا بين نسائم الربيع الجميل والعمل الشرير الذي كنا نحقق فيه.

جلس هولمز في مقدمة العربة، وذراعاه مطويتان، ثم أنزل قبعته على عينيه، وبدا وكأنه غارق في التفكير، لدرجة أنه فجأة قفز قفزة صغيرة في مكانه، ثم نقر على كتفي.

قال: «انظر هناك!».



امتـــدت حـــــديقة مشجرة على منحدر وصولًا إلى مجموعة من الأشجار، ومن خلال الأشجار رأيت سطح المنزل الرمادي والأسطح العالية لقصر كبير.

سأل هولمز: «هل هذا منزل ستوك موران؟».

أجاب السائق: «نعم يا سيدي، هذا هو منزل دكتور رويلوت، وهذه القرية»، وأشار إلى مجموعة من المنازل على اليسار، ثم تابع: «ولكن إذا كنت ترغب في الوصول إلى المنزل، فإن أقصر طريق هو تجاوز هذا المنحدر والسير على الرصيف. هناك، حيــث تمشي تلك السيدة».



قال هولــمز، وهو يغمـض عــينـيـه: «وهــــذه السيدة هي الآنسة ستونر. حسنًا، من فضلك، دعنا ننزل هنا أيها السائق».

نزلنا من العربة، ودفعنا الأجرة، ثم استدارت العربة لبدء رحلتها عائدة إلى بلدة ليذرهيد. قاد هولمز الطريق نحو الرصيف، ومد يده عندما اقترب من الشابة، وقال: «مساء الخير يا آنسة ستونر».

أعتقد أنها بدت أقل توترًا بكثير مما كانت عليه هذا الصباح، وابتسمت وهي تصافحنا وقالت: «لقد كنت أنتظركما بفارغ الصبر، وكما اعتقدت، ذهب دكتور رويلوت إلى المدينة، وأشك في أنه سيعود قبل حلول المساء».

قال هولمز: «لقد سُررنا عندما التقينا به بالفعل»، ثم أوضح لها في بضع كلمات ما حدث.

شحب وجه الآنسة ستونر وقالت: «يا إلهي! لقد تبعني إلى هناك».

رد هولمز: «نعم».

ردت الآنسة ستونر: «إنه ماكر جدًّا، لا أعرف مطلقًا متى سأكون في مأمن منه، وماذا سيقول عندما يعود؟».

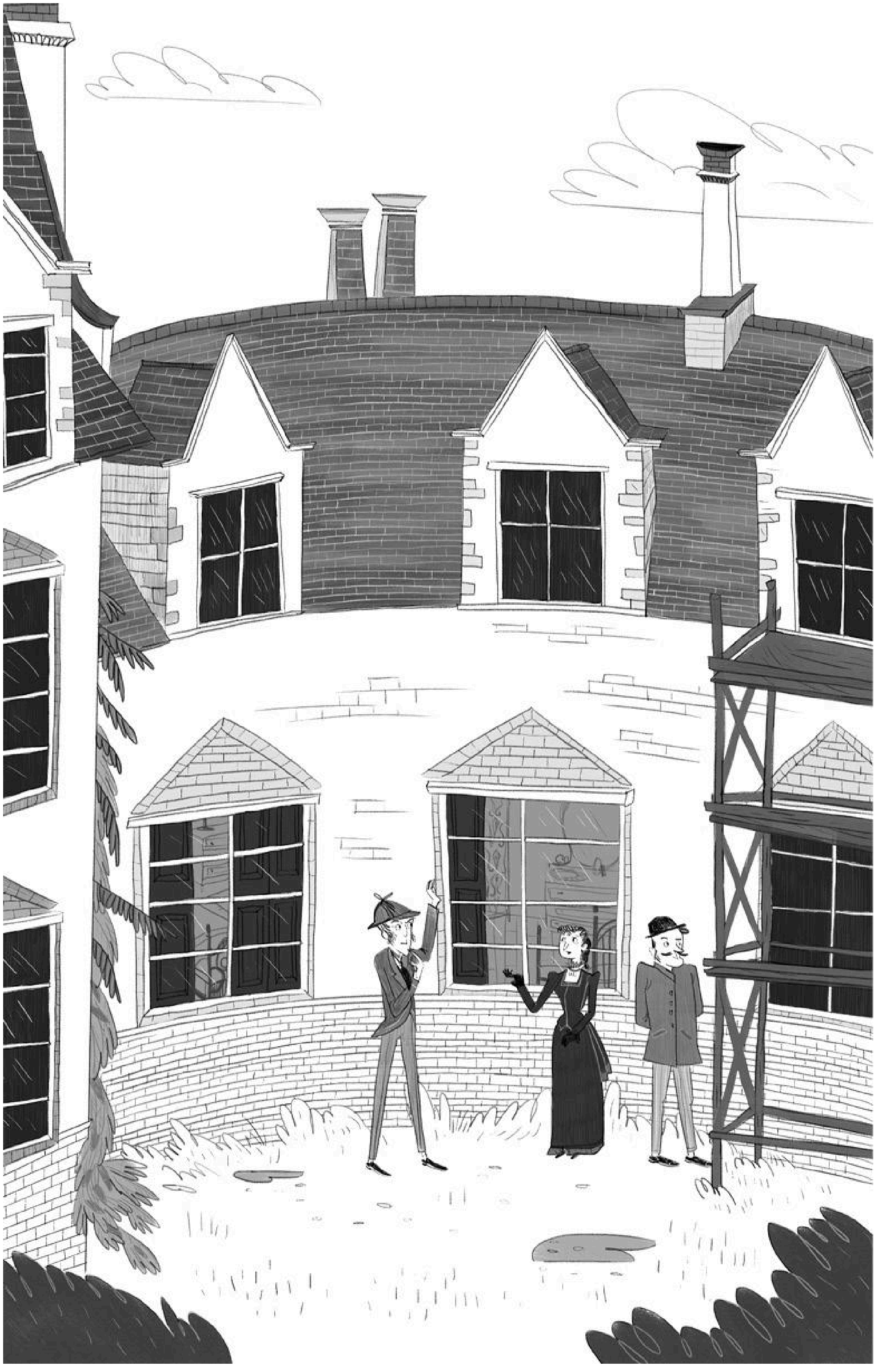
أجابها هولمز: «سيحتاج إلى حماية نفسه، لأن هناك شخصًا أكثر مكرًا منه يلاحقه. يجب أن تبقي في غرفتكِ هذه الليلة، وإذا استخدم العنف معكِ، سنأخذكِ إلى بيت خالتكِ في هارو. الآن، أظن أن وقتنا قصير؛ لذا يرجى اصطحابنا إلى الغرف التي وصفتها، فعلينا بدء تحقيقاتنا».

وتبعناها عبر الحقل باتجاه المنزل المبني من الأحجار الرمادية المبقعة. كان هناك جزء مركزي مرتفع بجناحين مقوسين للخارج على كلا الجانبين، يشبهان مخالب السلطعون. وكان الجناح الأيسر من المنزل في حالة سيئة؛ حيث النوافذ مكسورة ومغطاة بالألواح،

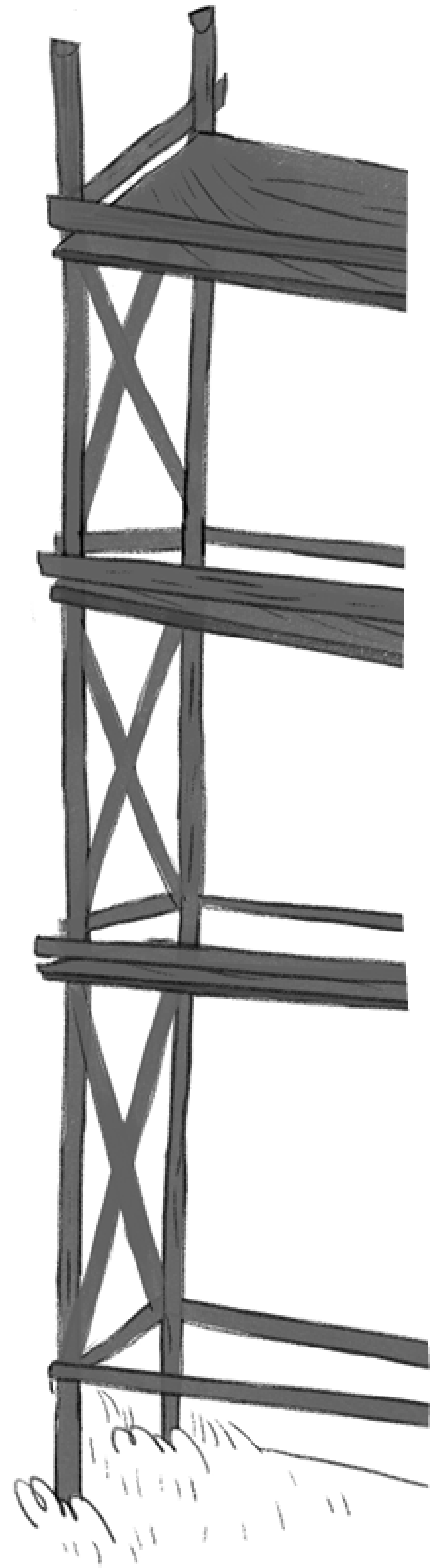
والسقف منهار، أما الجزء المركزي فكان في حالة أفضل، والجناح الأيمن أكثر حداثة، ومن الواضح أنه الجزء الذي يعيشون فيه. كانت هناك بعض السقالات على الحائط الأخير؛ حيث يوجد تصدع في الجدر الحجرية، على الرغم من عدم وجود عمال في مرمى النظر.

سار هولمز ذهابًا وإيابًا على العشب غير المشذب، وهو ينظر إلى النوافذ باهتمام.

وقال وهو يشير إلى الغرفة الأخـــيرة التـــي بجوارها السقالات: «أعتقد أن هذه غرفتك، والتي في المنتصف غرفة أختك، والأقرب إلى الجزء الأوسط هي غرفة دكتور رويلوت».



أجابت الآنسة ستونر: «بالضبط، لكنني الآن أنـــام فـــي الغرفة التي بالمنتصف».



قـــال هــولمز: «لا أستطيع أن أرى سبب الحاجة إلى الإصلاحات»، وهذا ما كنت أفكر فيه أيضًا.

أجابت الآنسة ســتونر: «أعتقد أنه كان مجرد ذريعة لنقلي من غرفتي».

فكر هولمز للحظة، ثم قال: «حسنًا، يوجد ممر تنفتح عليه هذه الغرف الثلاث في الجانب الآخر من هذا الجناح»، مشيرًا إلى الخارطة التي أعطتني إياها سابقًا.

أومأت الآنسة ستونر بالموافقة.

سألها هولمز: «هل توجد نوافذ في هذا الممر؟».

أجابت الآنسة ستونر: «نعم، ولكنها صغيرة جدًّا؛ صغيرة جدًّا بحيث يتعذر على أي شخص الدخول أو الخروج منها».

قال هولمز: «هلا تدخلين غرفتكِ من فضلك وتقومين بإغلاق المصاريع؟».

عرفت أنه يريد أن يرى ما إذا كان من الممكن لأي شخص أن يفتحها من الخارج. مع عدم وجود مدخل خارجي وأبواب مغلقة من الداخل، بدا من المستحيل أن يتمكن أي شخص من الدخول عبر الممر.

فعلت الآنسة ستونر ما طلبه «هولمز» منها على النحو الأكمل، وحاول هولمز على الفور فتح المصاريع لكنه لم يتمكن من فتحها، كما لم يكن هناك حتى شق لإدخال السكين ورفع القضيب. ثم أخرج عدسته المكبرة وحدق في المفصلات عن كثب. استطعت أن أرى حتى بالعين المجردة أنها مصنوعة من الحديد الصلب، ومثبتة تمامًا في الأحجار الضخمة.

حــك هــولمز ذقنــه، وقـــــال: «تــقــدم نظريتي بعــض الصــعوبات، فلا أحد يستطيع دخول الغرفة إذا كانت المصاريع مغلقة. دعونا نرَ ما إذا كان الداخل يقدم المزيد من

الأدلة».



لم تهم غرفة الآنسة ستونر المعهودة هولمز؛ لذا تجاوزناها، ودخلنا الغرفة الوسطى، الغرفة التي كانت الآنسة ستونر نائمة فيها، والتي توفيت فيها أختها. نظرت حولي، محاولًا فحص الغرفة بعيون هولمز. كانت غرفة عادية، بسقف منخفض ومدفأة كبيرة مفتوحة، على الرغم من عدم وجود آثار للنيران المشتعلة مؤخرًا. كانت هناك خزانة بنية اللون، ذات أدراج موضوعة على جانب الغرفة، وسرير ضيق مع غطاء سرير أبيض على الجانب الآخر، وهناك تسريحة وكرسيان من الخيزران بجانب النافذة، وسجادة في وسط الغرفة. وكانت ألواح الجدران من خشب البلوط المتآكل بني اللون، ويمكن أن يكون هكذا منذ بناء المنزل.

بالأحرى، كانت غرفة بلا روح، وكانت مأساة موت جوليا معلقة في أذهاننا.

جلس هولمز على أحد الكراسي، وأطلق عينيه تتجولان ببطء في جميع أنحاء الغرفة، محاولًا استيعاب كل تفاصيلها القاتمة. فعلتُ الشيء نفسه، لكنني لم ألاحظ شيئًا أكثر مما

وصفه بالفعل.

سأل هولمز: «أين يرن هذا الجرس؟»، فنظرتُ على الفور ولاحظت حبل الجرس السميك لأول مرة؛ وهو ميزة متعارف عليها في المنازل الكبيرة، معلقًا بجانب السرير، وبه شرابة موضوعة على وسادة.

أجابت الآنسة ستونر: «في غرفة الخادمة».

قال هولمز: «يبدو أحدث من أي شيء آخر».

أومأت الآنسة ستونر بالموافقة، وقالت: «نعم، لقد تم وضعه قبل عامين فقط».

سأل «هولمز»: «بناءً على طلب أختك؟».

ردت الآنسة ستونر: «كلا، لم يكن هناك من يخدم حينها لكي نضرب الجرس لطلبه، لقد كنا نفعل دائمًا كل شيء بأنفسنا».

قال هولمز: «يبدو من الغريب إذن تركيبه».

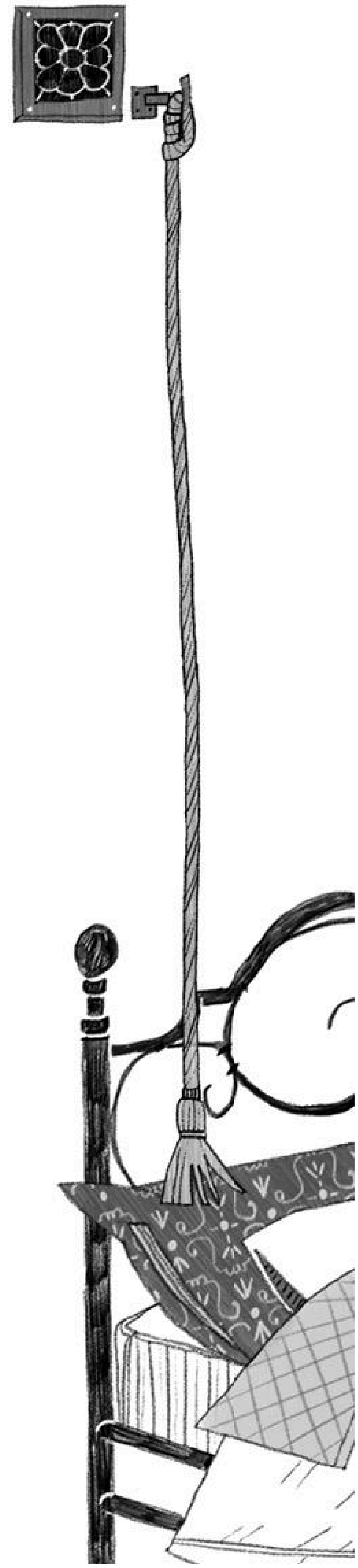
ألقى هولمز بنفسه على الأرض، ما أثار دهشتي، وبالطبع دهشة الآنسة ستونر، وبدأ الزحف ذهابًا وإيابًا، وفحص كل شبر في الغرفة بالعدسة المكبرة، ثم فعل الشيء نفسه مع الألواح الخشبية على الجدران، وتوقف بجانب السرير، وأخذ يشد حبل الجرس بقوة.



ثم قال: «إنه لا يعمل! حبل الجرس غير متصل بأي سلك، ولكنه متصل بخطاف بالقرب من فتحة التهوية».

قلت: «لم ألاحظ ذلك».

قال هولمز: «هناك شيء أو شيئان غريبان للغاية في هذه الغرفة. مَن العامل الأحمق الذي يفتح فتحة تهوية بين الغرف؟ لا بد أن يفتحها للخارج للسماح بدخول الهواء النقي إلى الغرفة».



قالت الآنسة ستونر: «فتحة التهوية تلك حديثة أيضًا».

سأل هولمز: «هل تم بناؤها في وقت تركيب الجرس نفسه؟».

أجابت الآنسة ستونر: «نعم، كان هناك العديد من التغييرات الصغيرة التي تم إجراؤها في ذلك الوقت».

قال هولمز: «حسنًا، حبل الجرس لا يعمل، وفتحات تهوية لا تدخل الهواء. بعد إذنكِ يا آنسة ستونر، سنقوم الآن بفحص غرفة دكتور رويلوت».

وتبعتهما إلى الغرفة المجاورة.

الفصل السادس



كانت غرفة دكتور رويلوت أكبر من غرفة ابنة زوجته، وهي أيضًا مؤثثة ببساطة؛ بها سرير صغير، ورف صغير من الكتب، وكرسي أو كرسيان. ولاحظت أن هذه الغرفة تحتوي أيضًا على خزنة حديدية كبيرة. بدأ عقلي على الفور التفكير في غرض استخدامها.

تجول هولمز وهو ينظر في كل شيء، ثم توقف عند الخزنة، وسأل: «ماذا يوجد هنا؟». من الواضح أننا كنا نفكر في الاتجاه نفسه.

أجابت الآنسة ستونر: «أوراق عمل زوج والدتي».

سأل هولمز: «هل رأيتِ ما بداخلها؟».

قالت الآنسة ستونر: «نعم، مرة واحدة فقط، منذ عدة سنوات؛ حيث كانت مليئة بالوثائق».

قال هولمز: «ليست هناك قطة داخلها؟».

قالت الآنسة ستونر: «لا، ما هذه الفكرة الغريبة!».

فأشار هولمز إلى وعاء صغير من الحليب فوق الخزنة، وقال: «انظرا إلى هذا!».

ردت الآنسة ستونر: «لا، ليست لدينا قطة، بل فهد وقرد البابون فقط».

قال هولمز: «حسنًا، الفهد قطة كبيرة، ولكن صحن الحليب لن يروي عطشه بأية حال من الأحوال». ثم جلس أمام كرسي خشبي، وفحص المقعد باهتمام، ثـم ابتسم بارتياح وقال: «أعتقد أنني وجدت كل ما كنت أبحث عنه. شكرًا لكِ».

وقف هولمز وأعاد العدسة المكبرة إلى جيبه، واستدار استعدادًا للمغادرة قبل أن يتوقف فجأة.



ثم قال: «إممم، مرحبًا! لقد وجدت شيئًا مثيرًا للاهتمام!».

ما لفت انتباهه هو مقود كلب معلق على زاوية من السرير، تم عقد طرفيه لعمل حلقة.

سألني هولمز: «ما رأيك في هذا يا واطسون؟».

قلت: «إنه مجرد مقود كلب عادي، لكنني لا أعرف لماذا تم عقده هكذا».

قال هولمز بحسرة: «يا إلهي! إنه عالم شرير، وعندما يستخدم رجل ذكي ذكاءه في الجريمة، فهذا أسوأ ما في الأمر. أعتقد أنني رأيت ما يكفي يا آنسة ستونر». ثم استدار وغادر الغرفة.

لم أرَ وجه صديقي قاتمًا أو جبينه داكنًا هكذا.

خرجنا إلى الحديقة، وانتظرنا بفارغ الصبر ما سيقوله هولمز بعد ذلك. شاهدته أنا والآنسة ستونر وهو يتجول حول العشب عدة مرات، منهمكًا في التفكير بعمق. لم يكن أي منا على استعداد لمقاطعته؛ لذا لم يكن أمامنا خيار سوى الانتظار.

بعد عدة دقائق التفت إلى موكلتنا، وقال: «من الضروري للغاية يا آنسة ستونر أن تتبعي نصيحتي من كل النواحي».

قالت: «سأفعل ذلك بالتأكيد، أنا رهن إشارتك».

قال هولمز: «أولًا، يجب أن أقضي الليل في غرفتك أنا وصديقي».

حدقت أنا والآنسة ستونر به في دهشة.

تابع هولمز: «اسمحا لي بأن أشرح، أعتقد أن هذا هو نُزل القرية»، وأشار عبر الحديقة.

قالت الآنسة ستونر: «نعم، يسمى نُزل كراون».

سأل هولمز: «وستظهر نوافذك من هناك؟».

أجابت الآنسة ستونر: «بالتأكيد».

قال هولمز: «حسنًا، عليكِ حبس نفسكِ في غرفتكِ قائلة إن لديكِ صداعًا، وعندما تسمعين دكتور رويلوت يذهب إلى غرفته، افتحي مصاريع نافذتك، وضعي مصباحكِ هناك ليكون إشارة لنا، ثم اذهبي إلى غرفتكِ القديمة. هل يمكنكِ النوم فيها ليلة واحدة؟».



أومأت بالموافقة، قائلة: «لكن ماذا ستفعل؟».

رد هولمز: «سنقضي الليلة في غرفتكِ، ونحقق في الضوضاء التي أزعجتكِ».

بعد ملاحظتها للثقة التي قدم بها هولمز تعليماته، ردت الآنسة ستونر: «أعتقد يا سيد هولمز أن لديك بالفعل حلًّا لهذا اللغز».

قال: «ربما».

فقالت الآنسة ستونر: «إذن من فضلك، قل لي سبب وفاة أختي».

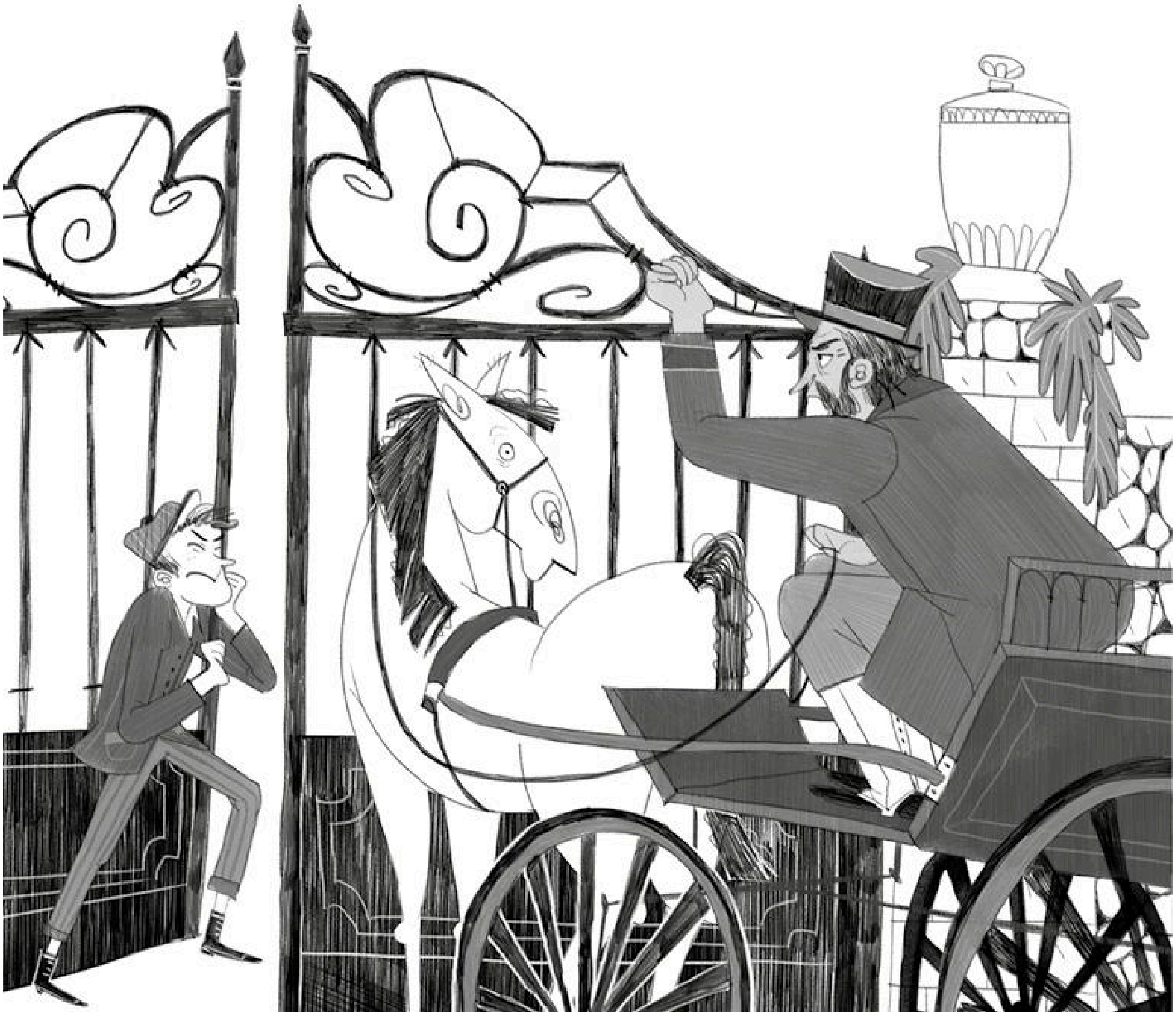
أجابها هولمز: «أُفضل أن يكون لديَّ دليل قاطع قبل أن أتحدث».

نظرت إليه بجدية، وقالت: «هل تعتقد أنها ماتت من الخوف؟».

أجاب هولمز: «لا، لا أعتقد ذلك. أنا متأكد من أن هناك سببًا أكثر تحديدًا، لكن يجب أن نذهب الآن قبل أن يعود دكتور رويلوت. إذا وجدنا هنا، فسيضيع كل شيء. تذكري أنه يجب عليكِ أن تفعلي ما أوصيتُ به، وإذا قمتِ بذلك، فقد نتمكن من التغلب على الخطر الذي يهددكِ».

قلت لها وأنا أربت على ذراعها: «وداعًا، تحلي بالشجاعة». فابتسمت ابتسامة صغيرة وغادرنا المنزل ذاهبين إلى النزل.

حجزنا في إحدى غرف الطابق العلوي التي تطل نوافذها على القصر، وعند الغسق، رأينا دكتور رويلوت عائدًا، وشكله الضخم يغطي على الصبي الذي يوصله. عندما وجد الصبي صعوبة في فتح البوابات الصدئة، سمعنا زمجرة رويلوت، ورأيناه يهز قبضته في وجه الصبي المسكين.



اختفت العربة عن مجال رؤيتنا، وبعد بضع دقائق، رأينا وهج المصباح يضيء في إحدى غرف الجلوس.

قال هولمز مستديرًا إليَّ: «هل تعلم يا واطسون، أنا قلق من قدومك معي الليلة، لأنه ربما قد يكون هناك خطر بالتأكيد».

رددت عـــليــه: «ولــكن يـــمــكنني المساعدة؟».

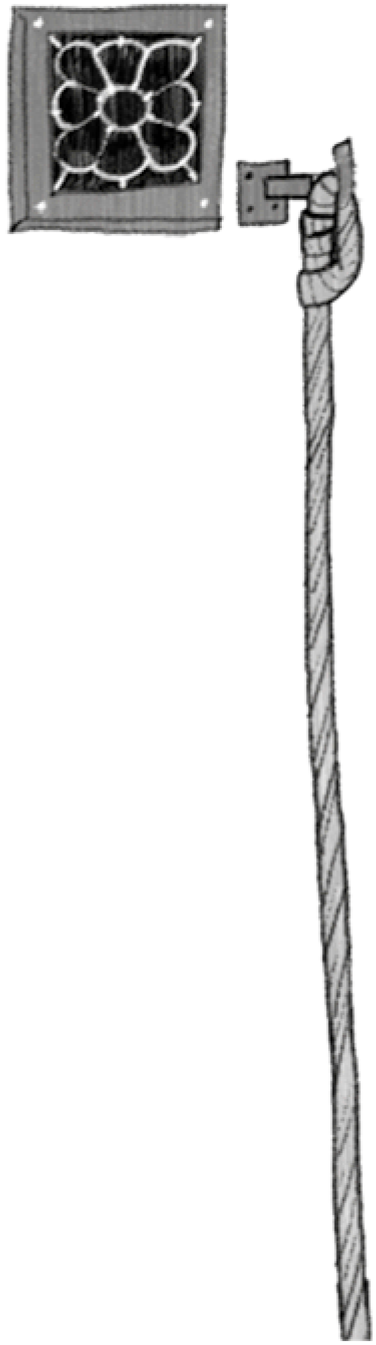
قال: «بالتأكيد».

قلت: «إذن، سآتي معك، لكن يا هولمز، أنت تتحدث عن الخطر؛ لذا لا بد أنك رأيتَ في تلك الغرف أكثر مما رأيتُ أنا».

رد هولمز: «ربما استنتجت أكثر، فلم أر أكثر مما رأيت أنت، ولم أر شيئًا غير عادي باستثناء حبل الجرس، ولم أستطع معرفة فيم يُستخدم».

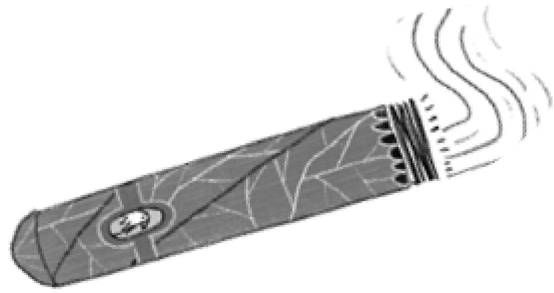
فقلت له: «وفتحة التهوية أيضًا؟».

أجاب هولمز: «نعم، ورغم غرابتها، فإنه لا يمكن أن يعبر من خلالها سوى جرذ صغير». ثم قال بغموض: «لكنني علمت أننا سنجد فتحة التهوية قبل أن نصل إلى ستوك موران».



قلت: «كيف علمت ذلك يا عزيزي هولمز؟».

رد هولمز: «هل تتذكر حين قالت الآنسة ستونر إن أختها شمت رائحة سيجار دكتور رويلوت؟ هذا يشير في الحال إلى أنه لا بد أن يكون هناك بعض الفتحات بين الغرفتين، ولا بد أن تكون صغيرة، وإلا لذُكرت في تقرير الطبيب الشرعي».



هززت رأسي، وقلت: «ما الضرر الذي يمكن أن يكون في ذلك؟».

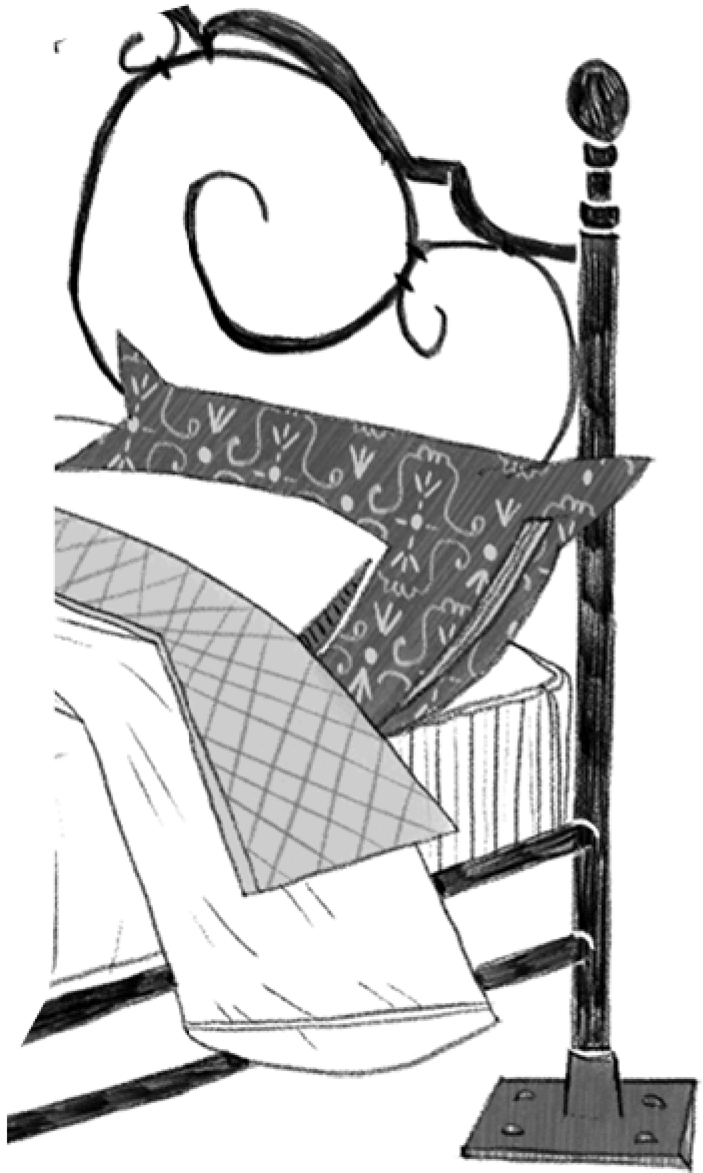
أجاب هولمز: «الغريب في الأمر تزامن المواعيد يا واطسون؛ صنع فتحة تهوية، وتركيب الجرس، وموت سيدة نائمة على سريرها».

قلت: «لا يمكنني رؤية أي رابط بين كل هذا».

سأل هولمز: «هل لاحظت أي شيء غريب بالسرير؟».

أجبت: «لا».

أوضح هولــمز: «تم تثبيــت الســريــر فــي الأرض، هل سمعت من قبل عن أي شخص يثبــت ســريره فــي الأرضية؟».



أنـا حــقًّا لــم أر ذلك من قبل.

ثم تابع هولمز: «لم تستطع السيدة تحريك سريرها. يجب أن يكون دائمًا في الموضع النسبي نفسه لفتحة التهوية، وحبل الجرس الزائف».

قلت: «يبدو أنني أرى بشكل خافت ما تلمح إليه يا هولمز، فنحن في الوقت المناسب لمنع جريمة ذكية ومروعة».

اتفق معي هولمز قائلًا: «ذكية ومروعة بما فيه الكفاية. عندما يضل الطبيب طريقه فهو أخطر المجرمين؛ فهو لديه الجرأة والمعرفة. ستكون لدينا أهوال قبل انتهاء الليل؛ لذا دعنا نرتح بضع ساعات، ونحاول التفكير في أي شيء مبهج».

الفصل السابع



تناولت أنا وهولمز وجبة خفيفة في غرفة الطعام، ثم جلسنا في غرفتنا، إما في التأمل الهادئ وإما بالنظر إلى الصحيفة.

أبقينا ستائرنا مفتوحة، وفي حوالي الساعة التاسعة مساءً تم إطفاء الضوء القادم من وراء الأشجار، وأظلم كل شيء في القصر.

مرت ساعتان أخريان ببطء، وفي حوالي الساعة الحادية عشرة توهج ضوء ساطع.

قال هولمز وهو ينهض من كرسيه: «هذه هي إشارتنا؛ إنها قادمة من النافذة الوسطى».

نزلنا أنا وهو، وأخبرنا المالك بأننا ذاهبان لزيارة أحد معارفنا، وربما نكون في الخارج طوال الليل، ثم غامرنا بالخروج في الليل. هبت رياح باردة على وجوهنا بينما كنا نتجه نحو الضوء الأصفر المتلألئ الذي يرشدنا في مهمتنا الرسمية.

لم يكن من الصعب الدخول إلى الحديقة؛ لأن الجدار كان محطمًا في بعض الأماكن. شققنا طريقنا عبر الأشجار، وعــــبرنا الحديقة، وكنا علــى وشك الدخـــول مــــن النافـذة عندمــا انطلق مخلوق بشع من إحدى أشجار الغار، وتدحرج على العشب وأطرافه تتلوى، ثم اختفى في الظلام.



قلت: «يا إلهي! هل رأيت ذلك؟»، كان قلبي يخفق بشدة، فأمسك هــولـــمز بمعصمي بقبضة حــديــديــة، لكنه سرعان ما خففها وضحك بصــوت منخفض.

قال: «هذا قرد البابون».

لقد نسيتُ تمامًا الحيوانات الأليفة الغريبة التي تجوب هذه الحديقة، وخفق قلبي بشكل أسرع عندما تذكرت المخلوق الآخر الطليق - الفهد، بالتأكيد هو أسوأ بعدة مرات من قرد البابون. في أية لحظة يمكن أن يهجم علينا من ظلام الأشجار؛ لذلك لم أستطع الدخول إلى الغرفة بالسرعة الكافية.

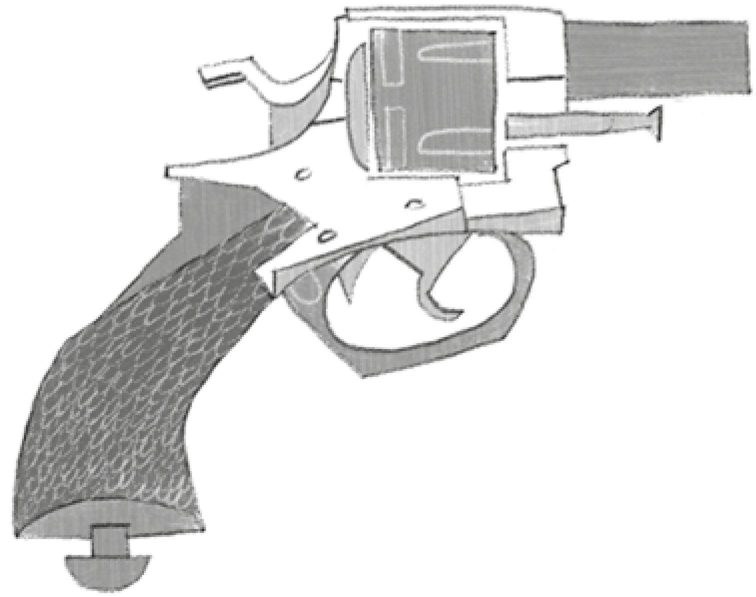


خلع كل منا حذاءه، وأغلق هولمز المصاريع بهدوء، وأعاد المصباح إلى الطاولة. بدا كل شيء في الغرفة كما كان عندما كنا فيها اليوم، ثم همس هولمز في أذني بهدوء شديد لدرجة أنني بالكاد سمعت قوله: «أقل صوت سيكون قاتلًا لخططنا».

أومأت بالموافقة على ما يقول.

همس مرة أخرى: «يجب أن نجلس دون ضوء، فقد يرى الطبيب الضوء من فتحة التهوية».

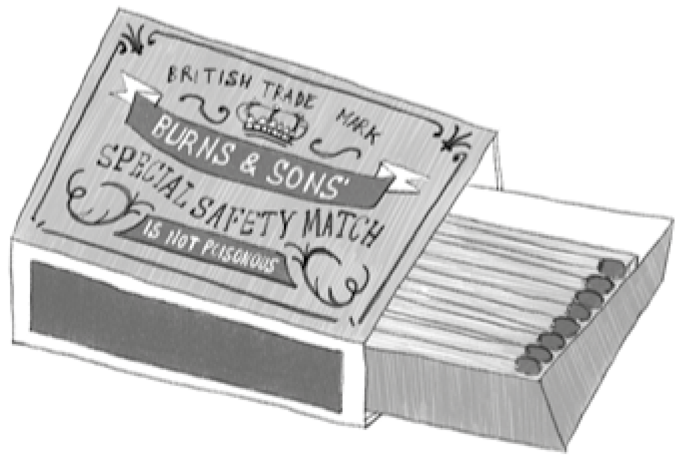
أومأت برأسي مرة أخرى، متسائلًا عما كنا ننتظره، لكنني متأكد من أنني سأعلم حين يأتي الوقت. لقـد كانت حـقًّا تـجربة مـثيرة للأعصــاب، وأنــا وافقت عليهـا بشغف شديد.

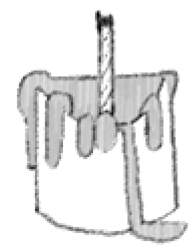




تابع هولمز وفمه المضموم بجانب أذني: «حاول أن تكون متيقظًا؛ فحياتك تعتمد على هذا، واجعل مسدسك جاهزًا في حال احتجنا إليه. سأجلس على السرير، وابقَ أنت على الكرسي».

كـدت أنسـى المسـدس، لكنني أخرجته ووضـــــعته علــى الطاولة، وأحضـــر هــولمز عصا طويلة رفيعة ووضعها على السرير بجانبه.





وبجانب العصا، وضع علبة أعواد ثقاب وشمعة صغيرة، ثم أطفأ المصباح وجلسنا في الظلام.

كيف يمكن أن أنسى تلك الليلة الفظيعة؟! لم أستطع سماع أي صوت، ولا حتى صوت أنفاس هولمز، رغم علمي أنه يجلس يقظًا أمامي على بُعد بضع أقدام، وربما يشعر بحالة التوتر العصبي نفسها التي أشعر بها. وكنت أتمنى أن يحدث أي شيء قريبًا. ومع إغلاق الستائر كان الظلام دامسًا. من الخارج كان هناك صوت من حين لآخر لطائر، وفجأة، مباشرةً من خارج النافذة، سمعنا مواء قطة عاليًا، فقد كان الفهد يتجول بالقرب من النافذة.

ومن بعيد، كنا نسمع كل ربع ساعة دقات ساعة دار العبادة، ثم توالت الساعات؛ الثانية عشرة منتصف الليل، ثم الواحدة، ثم الثانية، ثم الثالثة. كم كانت تلك الساعات طويلة، وما زلنا نجلس في انتظار ما سيحدث.



وفجأة، ظهر وميض ضوء قادم من فتحة التهوية، يومض مثل ضوء الشموع.

شهقتُ وسمعتُ هولمز ينتفض من مكانه. تحركت يدي نحو مسدسي، على الرغم من أنني لم أكن أعرف ما الذي قد أصوب عليه.

كانت هناك رائحة قوية من الزيت المحترق وكان الضوء مستقرًا وخافتًا قليلًا. أضاء شخص ما في الغرفة المجاورة مصباحًا به مغلاق لتخفيف الضوء، وسمعت صوتًا ضعيفًا لحركة ثم توقف. كنت حينها أحبس أنفاسي، وأطلقها ببطء شديد، محاولًا ألا أصدر صوتًا.

كنت أرغب في تعديل جلستي على الكرسي، لكنني كنت أخشى التحرك حتى لا أكشف عن وجودي.

بقيت بلا حراك لمدة نصف ساعة، منصتًا وأعصابي في حالة تأهب، ثم سمعت صوتًا لطيفًا وهادئًا، مثل قدر ماء يغلي.

عند سماع هذا الصوت، قفز هولمز من السرير، وأشعل عود ثقاب، وضـــرب بقـــوة علـــى حبـــل الجرس بالعصا.

صرخ هولمز: «هل رأيت ذلك يا واطسون؟ هل رأيته؟».

لكنني لــم أرَ شيئًا، ماذا حدث؟ ماذا فاتني؟



في اللحظة نفسها التي أشعل فيها هولمز عود الثقـــاب، سمــعت صافـــرة طويلــة وهادئة، تمامًا كمـــا وصفت الآنســـة ستونر، لكن الضوء أعماني مؤقتًا؛ كل ما استطعت رؤيته هو وجه صديقي، كان شاحبًا ومليئًا بالرعب والاشمئزاز.

لقد توقف هولمز عن مقاومة ما كان يقاومه، وظل يحدق في فتحة التهوية عندما سمعتُ صوتًا جعل قلبي يكاد ينخلع من صدري؛ كانت صرخة مروعة، صرخة خوف وألم وغضب تصاعدت بصوت أعلى وأعلى، حتى كدت أضع يدي على أذني من شدتها.

كانت الصرخة عالية ومستمرة، لدرجة أنني كنت متأكدًا من أن الناس في القرية سينهضون من نومهم بسببها. ولقد أصبت برعب أعلم أنه سيبقى معي إلى الأبد.

وقفت أنظر إلى هولمز وهو ينظر نحوي حتى تلاشت آخر أصداء تلك الصرخة المرعبة.

سألت عندما تمكنت أخيرًا من النطق: «ماذا يمكن أن يعني ذلك؟».

أجاب هولمز: «هذا يعني أن كل شيء قد انتهى، وربما للأفضل. أحضر مسدسك يا واطسون، وسندخل غرفة دكتور رويلوت».

أشعل هولمز المصباح، وتبعته إلى الممر. دق مرتين على باب دكتور رويلوت، لكن لم يكن هناك رد من الداخل، فأدار مقبض الباب ودخلنا معًا، ومسدسي على أهبة الاستعداد، ولم أكن أعرف ما كنت سأراه.

كان هناك مصباح على المنضدة، وأحد مصاريعه نصف مفتوح، بحيث أضاء الشعاع الخارج منه الخزنة الحديدية، التي ظل بابها مفتوحًا جزئيًا.

بجانب الطاولة، كان دكتور رويلوت جالسًا على كرسي خشبي، مرتديًا ثوبًا رماديًا وفي قدميه نعل أحمر. وفي حجره وضع مقود الكلب الذي رأيناه في وقت سابق من اليوم. كان

وجهه مرتفعًا إلى أعلى باتجاه فتحة التهوية، مثبتًا نظره عليها بأبشع تحديق، وكان حول جبهته عصابة مرقطة باللون الأصفر المائل للبني، مربوطة بإحكام. لم يقم بأي صوت أو حركة عندما دخلنا.

همستُ لهولمز: «العصابة! العصابة الرقطاء!».



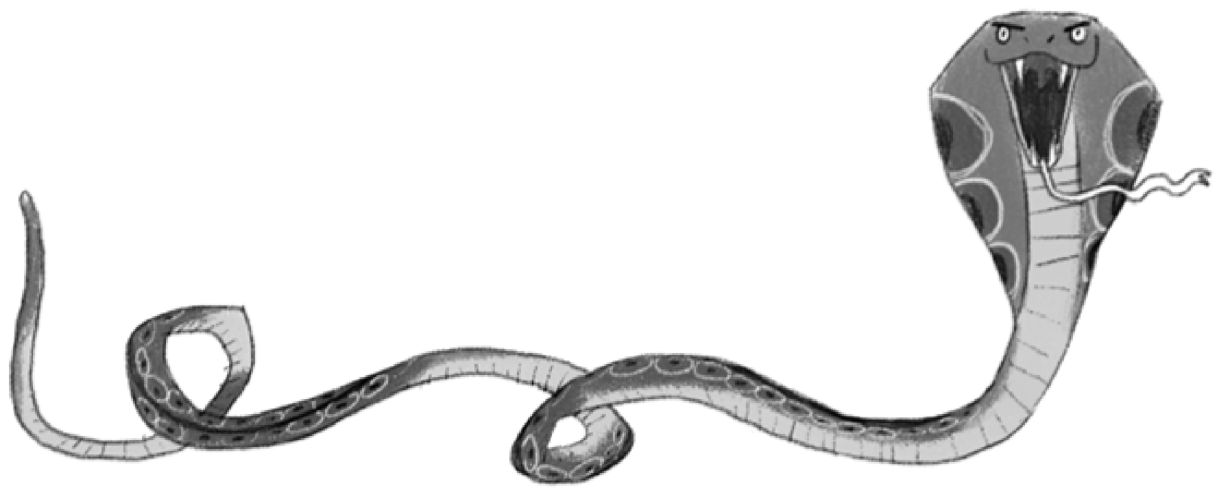
أخذت خطوة إلى الأمام، وفي لحظة بدأ الرأس الغريب للعصابة المرقطة التحرك، ثم سحب نفسه من بين شعر الرجل. ارتفع الرأس المسطح إلى الأعلى، وانتفخت رقبته مثل

قلنسوة كبيرة؛ إنها أفعى!

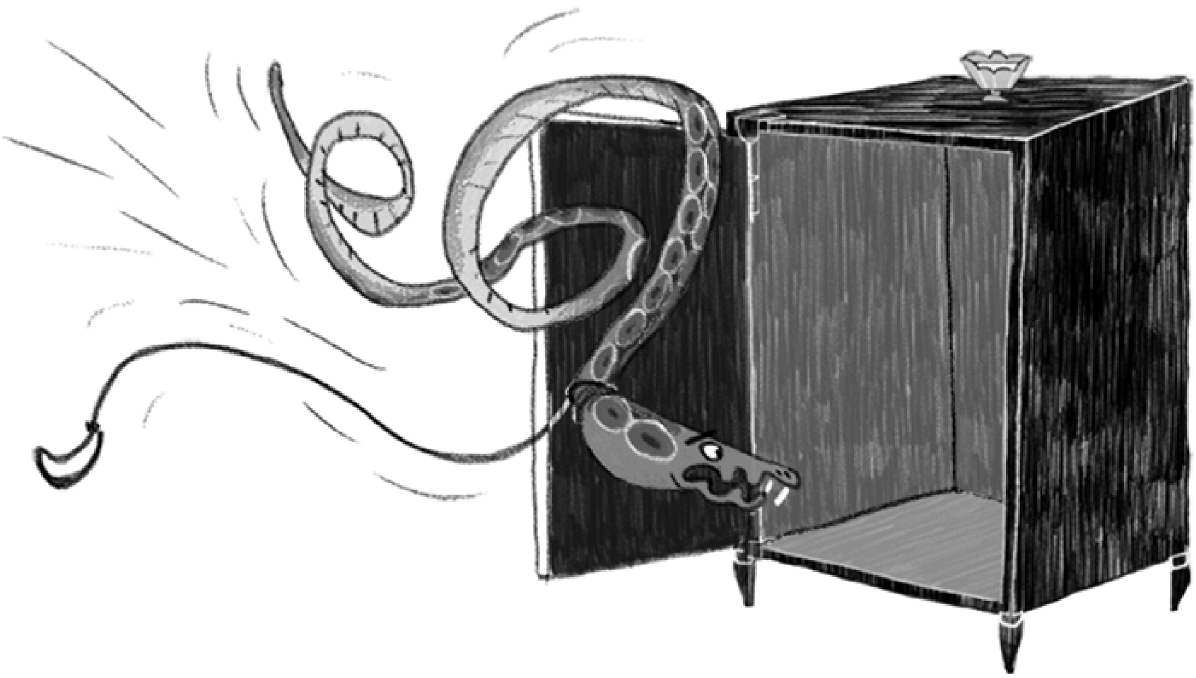
الفصل الثامن

قال هولمز: «إنها أفعى المستنقعات! إنها أخطر أنواع الثعابين في الهند؛ لقد مات الرجل في غضون عشر ثوانٍ من تعرضه للدغ، لقد انقلب سلاحه عليه».

نظرتُ إلى المخلوق في رعب وارتجفت، لقد بدأ كل شيء منطقيًا الآن. يا لك من رجل شرير وبغيض يا دكتور رويلوت!



أخذ هولمز المقود بحذر من حجر رويلوت، وقال: «دعونا نُعِد هذا المخلوق إلى جُحره، ومن ثم يمكننا أخذ الآنسة ستونر إلى مكان آمن، وإبلاغ الشرطة».



ألقى هولمز مقود الكلب، المعقود بمهارة، حول عنق الأفعى، وشدها بإحكام، وحملها بطول ذراعه، وألقى بها في الخزنة الحديدية، وأغلق الباب.

استيقظت الآنسة ستونر على الضوضاء فوقفت مرتجفة في الممر خارج غرفتها.

قال هولمز آخذًا بيدها في لحظة تعاطف نادرة: «أنتِ الآن بأمان يا آنسة ستونر، لكنني أخشى أن أخبركِ أن زوج والدتكِ قد مات».

اتسعت عيناها من هول المفاجأة، وليس حزنًا، لكنها لم تقل شيئًا.

قال هولمز: «يجب أن نبلغ الشرطة. إذا بقي واطسون معكِ وأعد كوبًا من الشاي، فسوف أوقظ شخصًا ما في النُّزل، وأطلب منه أن يحمل الرسالة».

أومأت برأسي، فأخذناها إلى المطبخ؛ حيث لا يزال الخشب ينبعث منه بعض الدفء. وعندما جلست أوقدتُ النار لغلي المياه، ثم غادر هولمز.



سألتِ الشابة بعد فترة طويلة من الصمت: «ماذا حدث؟».

هززت رأسي قائلًا: «سأدع هولمز يشرح لك التفاصيل، كل ما يمكنني قوله هو أنكِ كنتِ محقة في أن زوج والدتك كان يضمر الأذى لكِ، لكنه مات الآن، وليس لديك ما تخافين منه، فلقد انتهى كابوسك».

بدأت تهدأ وتشرب الشاي حتى عاد هولمز. عرضتُ عليه فنجانًا من الشاي، لكنه رفض وجلس أمام الآنسة ستونر.

بدأ هولمز حديثه قائلًا: «يبدو أن قرد البابون والفهد ليسا الحيوانين الوحيدين اللذين احتفظ بهما دكتور رويلوت هنا؛ فقد أحضر معه أيضًا أفعى من الهند: أفعى المستنقعات».



حدقت الآنسة ستونر به في رعب، قالت: «أكثر الأفاعي فتكًا...».

تابع هولمز: «أعترف أنه بعد اجتماعنا في شارع بيكر، طورتُ نظرية تَبين أنها غير صحيحة. كان وجود العصابات المشردة في الحديقة، واستخدام أختك كلمة عصابة لوصف ما شاهدته في تلك الليلة كافيًا لتوجهي إلى الطريق الخطأ، لكن بمجرد أن رأينا الغرف اتضح أنه لا أحد يمكنه الدخول من النافذة أو الباب».

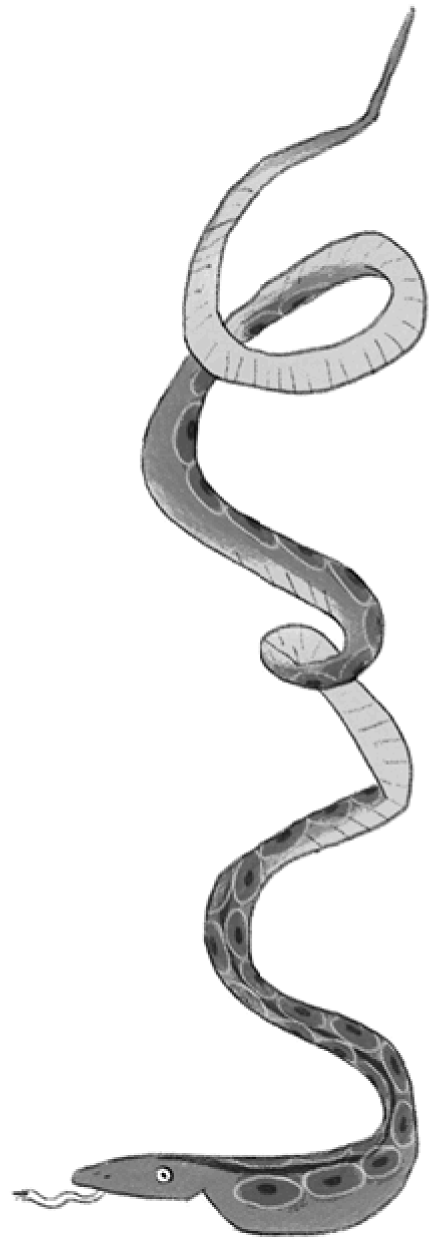


أكمل هولمز: «عندما رأيتُ فتحة التهوية، وحبل الجرس الزائف لأول مرة، علمت أنهما مهمان، كما أنني لاحظت أن السرير كان مثبتًا على الأرض، بحيث لا يمكن نقله من أسفل فتحة التهوية؛ لذا، يجب أن يكون حبل الجرس جسرًا لشيء ما ليعبر من خلال فتحة التهوية ويشق طريقه وصولًا إلى السرير. ما يمكن أن يفعل ذلك عدا ثعبان؟ بالطبع، نعلم أنه أحضر العديد مــن الــحيوانات من الهند، وكانت الأفعى جزءًا من تلك المجموعة، على الرغم من أنه أبقاها مخبأة. سم الأفعى سريع المفعول، ومن المستحيل أن تتبعه مختبرات الشرطة. وبما أنه كان طبيبًا في الهند، كان من الممكن أن يعرف رويلوت ذلك. أتخيل إنه قد عالج المرضى الذين لدغهم مثل هذا المخلوق. يجب أن يكون الطبيب الشرعي الذي يجري التحقيق حاد العينين لرؤية علامات ثقب اللدغة، كما أنه قد يستبعد هذا الاحتمال أيضًا إذا رآه».



كان لدى الآنسة ستونر تعبير غريب على وجهها، شيء ما بين الحزن وعدم التصديق، وكأنها، على الرغم من أنها لم تكن تحب زوج والدتها، لم تستطع تصديق أنه يمكن أن يفعل شيئًا كهذا لكي يستولى على مالها ومال أختها.

ثم تابع هولمز: «لم يكن يسمح للأفعى بالبقاء في الغرفة، لأنه كان سيُكشف أمره في صباح



اليوم التالي، فلا شك أنه درَّبها على العودة عند سماع الصفارة، بإغراء اللبن، وأظهر فحص

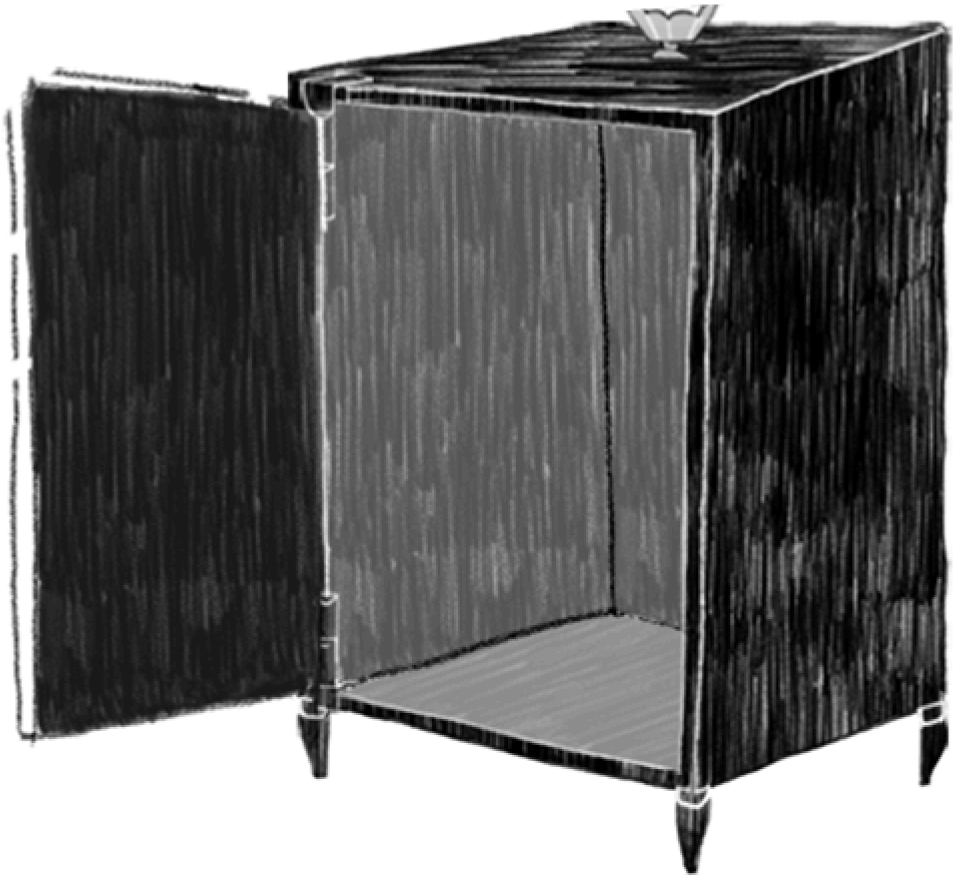
الكرسي أنه غالبًا ما كانت الأفعى تقف عليه، وهو ما كان عليها فعله للوصول إلى فتحة التهوية».

قالت الآنسة ستونر: «لقد كنت محظوظة في تلك الليلة الأولى، فلا بد أنه أرسل الأفعى إليَّ، وأتساءل لِمَ لَمْ تلدغني».

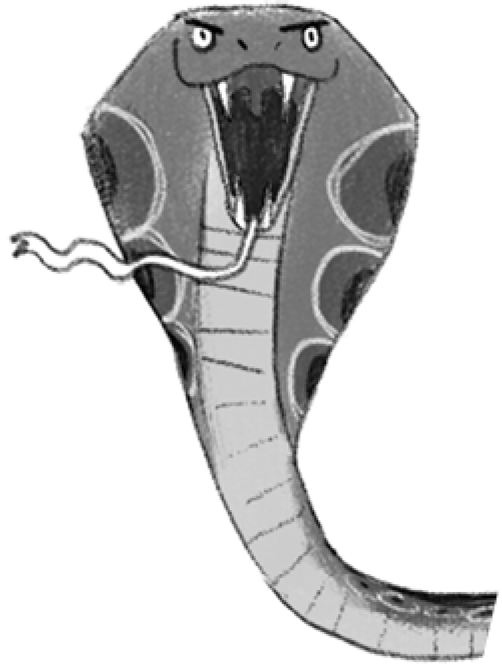
أجاب هولمز: «لم يكن في عجلة من أمره، وقد لا تلدغ الأفعى نائم السرير في كل مرة، لكنه كان يعلم أن ذلك سيحدث عاجلًا أم آجلًا، ما دام سيحدث قبل موعد زفافك».

ثم أضفت أنا: «هل تتذكرين الرنة المعدنية التي سمعتِها؟ لقد كان صوت الأفعى داخل الخزنة».

كانت الآنسة ستونر تنقل عينيها بيني وبين هولمز قائلة: «لا أستطيع أن أشكركما بما فيه الكفاية يا سيد هولمز ودكتور واطسون، لقد جازفتما بحياتيكما الليلة. أفترض أنكما انتظرتما دخول الأفعى من فتحة التهوية؟».



قال هولمز: «نعم، هذا ما حدث، ثم ضربتها بعصا حتى عادت من خلال الفتحة؛ حيث كانت لدينا ميزة معرفة ما هو متوقع. أصابت بعض ضرباتي الأفعى فأغضبتها، ولهذا عادت لتلدغ أول شخص رأته - وهو سيدها».



الفصل التاسع



لم يكن علينا الانتظار طويلًا لطلوع الصباح، فبمجرد أن حـــزمت الآنســـة ســـــتونر حقيبتهـــا، أخذناها إلــــى المحطة، وأركبناها قطارًا متجهًا إلى خالتها في بلدة هارو.

بعد تسليم القضية برمتها لأيدي الشرطة، عدنا إلى شارع بيكر، وانتهى اللغز. هذه المرة قدم الطبيب الشــرعي ســــبب الــوفاة كما يلي: مات الدكتور رويلوت، من منزل ستوك موران، أثناء لعبه مع حيوان خطير.



لم تكن التفاصيل الحقيقية للقضية معروفة إلا لثلاثتنا - أنا وهولمز، والآنسة ســــتونر. أتمنـــى بصدق أن تتلاشى التفاصيل من عقلها بمجرد أن تتزوج، وتُحاط بحب زوجها الجديد.



شيرلوك هولمز

قام المحقق الخاص المشهور عالميًا شيرلوك هولمز بحل مئات الألغاز، وهو مؤلف أوراق بحثية رائعة مثل Early English Charters وThe Influence of a Trade Upon the Form of a Hand. ويربي النحل في أوقات فراغه.

دكتور جون واطسون

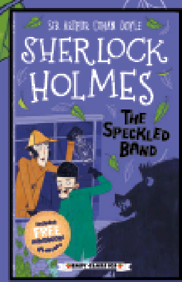
جُرح دكتور جون واطسون في أثناء مشاركته في معركة مايواند، وترك الجيش وانتقل إلى منزل 221ب بشارع بيكر. وهناك تفاجأ عندما علم أن صديقه الجديد، شيرلوك هولمز، يواجه خطرًا يوميًا في أثناء حل الجرائم، وبدأ في توثيق تحقيقاته. يدير دكتور واطسون عيادة طبيب أيضًا.

لتحميل أنشطة شيرلوك هولمز، يرجى زيارة الموقع الالكتروني

www.sweetcherrypublishing.com/resources

د.

الغلاف الخلفي



ببالغ الحزن والأسى نبلغ عن وفاة الآنسة جوليا ستونر سليلة عائلة ستوك موران، التي وافتها المنية في ظروف غامضة.

عادت الأصوات الغامضة التي سمعت آخر مرة قبل وفاة جوليا ستونر مباشرة، حينها عرفت أختها هيلين أنها مسألة وقت قبل أن تعاني المصير نفسه. هناك من يدبر لمؤامرة رهيبة، والطريقة الوحيدة للقبض على الجاني هي الولوج إلى فخ مميت...



لشراء النسخة الإلكترونية

قارئ جرير JARIR READER

مكتبة جرير JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore

Arabic edition published by Jarir Bookstore

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت
www.jarir.com

Retold by: Stephanie Baudet
Licensor: Sweet Cherry Publishing United Kingdom [2022]

ISBN 628-1072-14-359-6
6 281072 143596
282208931

1. الغلاف
2. الغلاف الأمامي
3. حقوق الطبع والنشر
4. الفصل الأول
5. الفصل الثاني
6. الفصل الثالث
7. الفصل الرابع
8. الفصل الخامس
9. الفصل السادس
10. الفصل السابع
11. الفصل الثامن
12. الفصل التاسع
13. شيرلوك هولمز
14. دكتور جون واطسون
15. الغلاف الخلفي